الطبعة الثانية

الحب والفراق...
إنّه محمد عبده يماني

كمال عبد القادر



كتب المقدمة
سماحة الشيخ حسن الصفار

كمال عبد القادر

الحب والفراق...
إنَّه محمد عبده يماني

سيرة ذاتية كتبها:

كمال عبد القادر



الحب والفراق...
إنّه محمد عبده يماني

الكتاب: **الحب والفراق... إنه محمد عبده يماني**

المؤلف: **كمال عبد القادر**

التصنيف: سيرة ذاتية - تاريخ

الناشر: دار **مدارك** للنشر

الطبعة الأولى: فبراير (شباط) 2011
الطبعة الثانية: سبتمبر (أيلول) 2011

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN 978-9953-566-38-2

صورة الغلاف: الفنان الفوتوغرافي، عبد الرزاق الإدريسي

الكتاب متوفر على الإنترنت: مكتبة نيل وفرات. www.nwf.com



دبي:
مجمع إعمار للأعمال، شارع الشيخ زايد، دبي - الإمارات العربية المتحدة
P. O. Box: 333577 Dubai - UAE
Tel.: 00971 4 361 5177 - Fax: 00971 4 361 5178
بيروت:
فرن الشباك، الطريق العام، سنتر غاريوس، بيروت - لبنان
P. O. Box: 50074 Forn Elchebbak - Lebanon
Tel.: 00961 1 282075 - Fax: 00961 1 282074
www.mdrek.com - read@mdrek.com

الاهداء

إلى من أحبني كثيراً..

إلى من، ما زلتُ، أحبه كثيراً.

إلى السيد محمد عبد الحميد عطار.

المقدمة

حينما تُرْزأُ بفقد عزيز رسّخت محبته ومكانته في قلبك، مشاهد ومواقف نبيلة، فإن استجابة وجدانك ومشاعرك لتحدي ألم المصاب بفقده تأخذ منحيين: الأول منهما الشعور بالحزن والأسى؛ لأن الموت قد أحدث فراقاً أبدياً بينك وبين من تحب، وهذا ما يواجهه المؤمن بالتسليم لقضاء الله تعالى وقدره، وطلب المثوبة بالصبر والاسترجاع كما أمر الله سبحانه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ❖ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أما المنحى الثاني فهو استعادة شريط الذكريات، والعودة إلى أعماق الذاكرة والوجدان، وفتح أرشيف الصور والمشاهد المختزنة، التي جمعتك بالفقيد الراحل للتطواف بها، والوقوف أمامها، تعويضاً عما تشعر به من غياب وفراق.

وهذا ما عشته حين بلغني نبأ وفاة الحبيب العزيز الدكتور الشيخ محمد عبده يماني رحمه الله.

فقد ربطتني به علاقة محبة وتقدير، وتشاور وتعاون على البر والتقوى، في إطار تعزيز روح الإخاء والتقارب بين أبناء الأمة والوطن، ونشر ثقافة التسامح والاعتدال بين شرائح المجتمع، وخلال هذه العلاقة الطيبة التي دامت خمسة عشر عاماً وجدت في تعامله الصدق والإخلاص والأدب الجم وتوخي الحكمة في كل حركة وموقف.

ولست الآن بصدد الكتابة عن شخصيته، أو الحديث عن صفاته، وخدماته للدين والوطن، فإن سيرته وانجازاته هي خير كتابة وحديث عنه، وقد أشار عدد من الكتّاب ورجالات العلم والفكر في تأبينهم له إلى بعض ما يتحلى به من سمات الخير والفضل ومكارم الخلاق والشيم.

لكنني أحببت التقاط بعض الصور والمشاهد التي استعادتها الذاكرة في غمرة الحزن والأسى عندما تلقيت نبأ وفاته الأليم.

وحين أطلعني الأخ الفاضل الأستاذ كمال عبدالقادر

على السيرة الذاتية التي كتبها للدكتور محمد عبده يماني، من خلال مذكرات نشرها عنه في صحيفة المدينة سنة 1414هـ وجدتها فرصة سانحة لتسجيل انطباعاتي وذكرياتي عن شخصيته الكريمة، شاكراً للأخ العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر أن منحني شرف التقديم لهذه الصفحات المشرقة بنور تجربة إنسانية وطنية رائدة.

اللقاء الأول:

كنت مشتاقاً للتعرف على الدكتور محمد عبده يماني لما سمعت عن شخصيته الفاضلة، ولقراءتي بعض كتاباته، وخاصة كتابه الأشهر والأكثر انتشاراً (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ) حيث نفدت الطبعة الأولى منه سنة 1410، قبل أن يمضي على صدورها شهر واحد كما جاء في مقدمة الطبعة الثانية، ثم تعددت طبعات الكتاب وبين يديَّ منها الطبعة العاشرة لسنة 2006م ولعل طبعات أخرى قد صدرت بعدها.

كنت ابحث عن طريق يوصلني إليه، بعد عودتي إلى الوطن سنة 1415، وحين توفقت لحج بيت الله الحرام، وزرت العالم الجليل السيد محمد بن علوي المالكي،

رحمه الله، بمكة المكرمة، طلبت منه عنوان الدكتور يماني، فبادر للاتصال به، وحدَّثه عن رغبتي في زيارته، فحيّا ورحب، واتفقنا على موعد اللقاء بعد أيام الحج.

كان اللقاء به في منزله بجدة عصر يوم الرابع عشر من ذي الحجة سنة 1415، وشاركني في اللقاء الأخ العزيز الشيخ حسين رمضان القريش، فاستقبلنا ببشاشة وترحاب، وابتدأت الحديث بالإشادة بكتابه (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ)، فاستلم دفة الحديث شاكراً لله تعالى على توفيقه له في تأليف هذا الكتاب، وعلى سعة انتشاره وعظيم استقبال الناس له، مؤكداً أن ذلك من بركة الله لأهل البيت عليهم السلام.

وأخبرني أن له كتاباً سيصدر بعنوان (إنها فاطمة الزهراء)، وأنه خلال تأليفه للكتاب تم العثور على (دار السيدة خديجة أم المؤمنين)، وهي تقع بزقاق الحجر بمكة المكرمة، ويقال له زقاق العطارين، وتعرف بمولد فاطمة، ولم تعد هذه الدار معروفة اليوم، فقد اختفت في باطن الأرض وانهالت عليها الأنقاض، وصادف أثناء الحفريات حول الحرم المكي في إطار التوسعة أن كشفت أجزاء منها، وتم التعرف عليها وتحديدها بدقة، ثم أرانا

صوراً عن تلك الدار المباركة، مضيفاً أن اكتشافها في هذا الوقت من توفيق الله تعالى، حيث سيكتب عنها وينشر صورها في الكتاب، وقد طبع الكتاب سنة 1416 ـ 1996م مزيناً بتلك الصور.

واسترسل رحمه الله في الحديث بألم وأسى عن ضياع معالم وآثار عهد النبوة بسبب الإهمال والآراء المتشددة التي تمنع من إحياء تلك المعالم والآثار، حتى لا تكون ذريعة إلى التبرك والتوسل المحظور حسب تلك الآراء.

ثم تحادثنا عن ما يعانيه الوطن والأمة من ضعف التواصل بل القطيعة بين أتباع المذاهب والاتجاهات المختلفة، وما ينتجه ذلك من سوء الظنون، وعدم وضوح صورة كل فئة أمام الأخرى، مما يوجد أرضية للفتن والنزاعات والصراعات، وأن على الواعين المخلصين السعي لتجاوز هذه الحواجز المفتعلة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة، وأبدى، رحمه الله، استعداده للتواصل والتعاون من أجل نشر روح المحبة والتسامح، وتقوية عرى الإخاء والمودة بين أبناء الوطن والأمة.

خرجت من اللقاء معه، ونفسي يملؤها السرور والتفاؤل، بوجود مثل هذا الرجل في ساحتنا الوطنية،

ممن تعقد عليهم الآمال بتخطي واقع الجفاء والفتور في العلاقات بين أطراف المجتمع، وصنع أرضية جديدة تنمو فيها بذور المحبة والثقة والعمل المشترك لخدمة المصالح العليا للدين والوطن.

وبحمد الله تعالى، كان ذلك اللقاء المبارك بداية تواصل لم ينقطع، حيث لا يكاد يمر عام لا تتكرر فيه اللقاءات كلما توفقت لحج أو عمرة، أو قصدت جدة لمشاركة اجتماعية أو ثقافية، وتفضّل بدعوتي أكثر من مرة في بيته العامر، بحضور نخبة من الشخصيات الاجتماعية والأدبية، كما كان يلبي معظم الدعوات التي حضرتها في مجالس جدة العامرة، ويضفي بحضوره على تلك اللقاءات بهجة وإفادة بمداخلاته القيمة، وتعليقاته الظريفة، وأخص بالذكر مجلس الشيخ عبدالمقصود خوجة، وأثنينيته الأدبية العريقة، ومجلس الأستاذ محمد سعيد طيب واهتماماته الإصلاحية الوطنية.

واغتنم، رحمه الله، فرصة زيارته للدمام لإلقاء محاضرة عن حقوق الإنسان بدعوة من فرع هيئة حقوق الإنسان، ليشرفني بزيارته للقطيف ظهر يوم الأربعاء 19 ذي الحجة 1429 الموافق 17 ديسمبر 2008م، حيث

دعوت على شرفه نخبة من الأدباء والمثقفين في المنطقة، ليشاركوني الاحتفاء بزيارته الكريمة، وتخللت اللقاء كلمات ترحيب بمعاليه، كما ألقى كلمة جميلة تناولت الهم الوطني والإسلامي العام.

في الحوار الوطني:

كان الدكتور يماني متفاعلاً ومتفائلاً جداً بانطلاقة الحوار الوطني، لأنه كان يرى فيه مؤشراً للاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية، يتجاوز بالوطن هيمنة فكر واتجاه آحادي، لا يرى لغيره شرعية وجود، أو حق تعبير عن رأي، كما كان يجده فرصة لظهور وتشجيع توجهات الاعتدال والتسامح وسط كل الأطراف، مما يهيئ لتواصل وتعاون يكبح جماح التشدد والتطرف، رأيته في الحوار الوطني الأول الذي انعقد في الرياض بتاريخ (15 ـ 18 ربيع الثاني 1424 الموافق 15 ـ 18 يونيو 2003م)، يشارك بحيوية وسعادة بالغة، وقد قال لي: إن بعض من تراهم معنا في جلسات الحوار كان يتأثم من إلقاء تحية الإسلام على كثير من الحاضرين، ويرفض أن يجمعه معهم سقف واحد، لأنه يشكك في ديانتهم ويراهم مشركين أو مبتدعة أو علمانيين مناوئين للدين، إن هذا

اللقاء يمثل تطوراً كبيراً إذا أحدث تغييراً في عقليات وسلوكيات المشاركين، ولم يكن مجرد استجابة صورية تكتيكية، مضيفاً: علينا أن ننطلق من التفاؤل وحسن الظن، وأن نعين القيادة السياسية على إنجاح هذا التوجه.

أما في الحوار الوطني الثاني والذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ 4 ـ 8 ذي القعدة 1424 الموافق 27 ـ 31 ديسمبر 2003م فقد كان الدكتور يماني في قمة السعادة والتفاؤل، حيث نجح في إقناع السيد محمد بن علوي المالكي بالمشاركة، بعد أن كان متردداً، حتى أنه طلب مني أن أتحدث معه لتشجيعه على المشاركة، كان الدكتور يماني مرتاحاً جداً لحضور هذه النخبة الوطنية الواسعة المتنوعة الاتجاهات، ومغتبطاً بمستوى الصراحة التي سادت أجواء المؤتمر في مناقشة قضية (الغلو والاعتدال).

ولا أنسى له ذلك الموقف النبيل حينما التقى المشاركون في الحوار بخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله في الرياض، كان وقتها ولياً للعهد، حيث تحدث بعض المشاركين في اللقاء، حسب جدول أعدته إدارة

المؤتمر، ولما انتهت كلمات المتحدثين وحان وقت حديث الملك عبدالله، توجه الدكتور يماني للملك ملتمساً إتاحة الفرصة لكلمة من السيد محمد بن علوي المالكي، فوافق الملك على طلبه، وكان على السيد المالكي أن ينهض ليقف أمام مكبّر الصوت، لكن الدكتور يماني بادر للطلب بأن يؤتى بمكبّر الصوت للسيد المالكي، حتى يتحدث وهو جالس في مكانه، فكانت التفاتة احترام وتقدير تنم عن شهامة وعمق أدب ووفاء.

مؤتمر إسلامي في طهران:

تلقيت دعوة للمشاركة في مؤتمر يقيمه مركز الدراسات والبحوث التابع لوزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ 28 ـ 29 شوال 1424 الموافق 22 ـ 23 ديسمبر 2003م تحت عنوان (العالم الإسلامي التحديات والفرص) وقد أسعدني حين شاركت في المؤتمر حضور الدكتور محمد عبده يماني، والذي كان مهتماً بالتعرف على طبيعة الأوضاع في إيران، وعلى التوجهات السياسية والثقافية السائدة لدى الشعب الإيراني، وكان يتحدث أن زيارته لإيران تحقق رغبة

عميقة في نفسه للإطلاع عن قرب على أوضاع الشعب الإيراني، بعد كل التطورات التي حصلت منذ قيام الجمهورية الإسلامية، مشيراً إلى أن الإعلام المسيّس يمنع من رؤية الأمور على حقيقتها.

كان حريصاً على متابعة جلسات المؤتمر، وقد ترأس إحدى الجلسات مفتتحاً بكلمة قيّمة، عما يواجه العالم الإسلامي من تحديات خطيرة تستوجب التقارب والتعاون بين حكومات الدول الإسلامية، وبين الجهات والمؤسسات العلمية والأهلية في ساحة الأمة.

وكان مهتماً بالتعرف على الشخصيات الإيرانية العلمية والفكرية، واغتنام أي فرصة للحديث معها في مختلف شؤون وقضايا الأمة، ولاحظت الحفاوة التي أحاطته بها إدارة المؤتمر، وما كان يبديه العلماء والمفكرون من احترام لشخصيته، واهتمام بمناقشاته وملاحظاته، وبدا لي أنه كان مرتاحاً جداً لزيارته لإيران، وللحصيلة التي خرج بها من الأفكار والانطباعات.

كان الدكتور يماني ذا شخصية جذابة مؤثرة، يحب

الآخرين، فتنفذ إلى قلوبهم محبته، ويحترم الناس فيبادلونه الاحترام والتقدير، يتحدث عن آرائه بثقة وتواضع، ويتعامل مع الأمور ببصيرة وحكمة، لا يبخل بمشورته على أحد، ولا يضن بجاهه وشفاعته، يحرص على المشاركة في أي مناسبة خير يدعى إليها، رغم متاعبه الصحية.

حقاً، إن حياته وسيرته منارة إصلاح تستضيء بها أجيال الأمة والوطن، ومن حق هذه الأجيال أن تتعرف على جوانب سيرة هذا الرجل، وآفاق اهتماماته وانجازاته، وتلبية لنداء هذا الحق، وانطلاقاً من واجب الوفاء، بادر أخونا العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر لإعداد هذه السيرة الذاتية، ومن أولى منه بهذه المبادرة، وقد كان على صلة وثيقة بهذه الشخصية الكريمة، وتفيأ ظلال رعايتها ردحاً من الزمن، واجتذبته إليها صفات الخير، ومواقف الإخلاص، ومكارم الأخلاق العالية، فاندفع للكتابة عنها بقلم الحب والوفاء.

أسأل الله تعالى أن يجعل في قراءة سيرة هذا الرجل خيراً ومنفعة كما كانت حياته مليئة بالخير والنفع.

وجزا الله الأستاذ كمال عبدالقادر خير جزاء الأوفياء المخلصين.

والحمد لله رب العالمين.

حسن بن موسى الصفار

13 ربيع الأول 1432 هـ

16 فبراير 2011م

توطئة...

وصل الدكتور محمد عبده يماني، إلى المستشفى السعودي الألماني، بعد صلاة عشاء الأول من ذي الحجة عام 1431هـ، بسيارة أحد الحضور في مجلس الأمير خالد الفيصل، حيث أُغشي عليه في المجلس، كان آخر كلامه مع الأمير هو الحديث عن حلقات تحفيظ القرآن الكريم، بعد قرار سعودة مدرسيه.

يقول لي الأخ قينان الغامدي، وهو آخر الزملاء الإعلاميين في حياة الدكتور محمد عبده يماني، أنه رأى الدكتور بدأ يسعل بشكل متواصل، أثارت إنتباهه، فطلب له كوباً من الماء، علَّ هذه الكحة تسكت وتهدأ، ولكنها استمرت، فسأله قينان إذا كان هناك دواء يأخذه، للسكر، مثلاً، فقال له الدكتور إنه لا يعاني من مرض السكر، وعاد إلى نوبة الكحة، فرأى الأمير خالد الفيصل أن يطلب له طبيباً، فقال له اليماني: سأذهب إلى

الطبيب بعد أن أخرج من هنا، ولكن الأمير اتصل بالطبيب، وما أن وصل وكشف عليه، فوراً، طلب نقله إلى المستشفى، ولم يكن يرى الطبيب أن ينتظروا سيارة الإسعاف حتى تأتي، لأن معاليه بدأ يفقد الوعي، رويداً.. رويداً، حمل بعض الحضور معالي الدكتور إلى سيارة عادية، التي أسرعت إلى المستشفى.

في هذه الأثناء اتصل بي الأخ قينان، لكي أُبلغ أحداً من أولاد الدكتور، لأنه يعلم قربي منهم، وأبلغني أنهم سيذهبوا به إلى المستشفى التخصصي، وبالفعل اتصلتُ بالأخ المهندس عبدالعزيز محمد عبده يماني.

وفي الجانب الآخر، شعر من في السيارة التي تحمل د. محمد عبده يماني، وهو مغشي عليه، أن حالته بدأت تزداد سوء، وكان المستشفى السعودي الألماني، هي الأقرب، ففروا إليها، واستقبله الأطباء في قسم الطوارئ.

كنتُ وقينان، قد ذهبنا إلى المستشفى التخصصي، وانتظرنا، وقالوا لنا، في قسم الطوارئ، إن قصر الأمير خالد الفيصل، أبلغهم بأن الدكتور سيأتي إليهم ليتهيأوا لاستقباله، ولكن طال انتظارنا، فرأينا أن نذهب إلى

المستشفى السعودي الألماني، ولما وصلنا إلى قسم الطوارئ في المستشفى، رأينا جموعاً غفيرة تجمعت عند باب الطوارئ، و حين سألنا عن حالته، كانت الإجابة مبهمة، والوجوه مضطربة والحال لا يطمئن، دخلتُ إلى ماقبل الغرفة الصغيرة، رأيتُ الدكتور اليماني ممدداً، سألتُ أول طبيب يخرج من الغرفة عن حالة الدكتور، أجابني إجابة مقتضبة.. «ادعي له»... بعد قليل، سمعنا أحد الأطباء يخرج ويقول «الحمد لله.. استجاب القلب لعملية الإنعاش».. كأني فهمت، حينها، أن قلب الدكتور يماني كان متوقفاً، وهذا يعني أن الدماغ لم يصل إليه الأوكسجين فترة من الزمن.. سألتُ الله أن يلطف بمعاليه.

خرج السرير المتحرك من غرفة الطوارئ، وبشكل سريع جداً، انتقل إلى الدور الأول في العناية المركزة، رجعتُ والأخ قينان إلى خارج المستشفى نتساءل عما سيحدث للدكتور يماني، حينها وصل الأستاذ عبدالمقصود خوجة والدكتور أيمن حبيب، نائب رئيس تحرير جريدة عكاظ، ودار الحوار بيننا حول حالة معاليه، ونحن نمشي في دهاليز المستشفى إلى أن وصلنا

الدور الأول.. دخلنا العناية المركزة، ورأيناه مسجىً والأجهزة تعمل من حوله.

الدكتور خالد بترجي خرج من غرفة العناية المركزة، وقال لنا «إن معاليه جاءنا وقد فارق الحياة قبل خمس عشرة دقيقة من وصوله، حاولنا إنعاش قلبه حتى استجاب، وهو يعمل بالأدوية والأجهزة، وإذا مرّت الأربع والعشرون ساعة القادمة، دون مضاعفات، يكون قد تجاوز مرحلة الخطر».

عدنا أدراجنا نسأل الله العلي القدير أن يلطف بمعاليه..!!

وصل الخبر إلى حبيبه وتوأم روحه ورحيمه وصديق العمر الأول والأخير.. الشيخ صالح كامل الذي كان في دمياط، ثلاث ساعات ونصف استغرقت رحلته إلى القاهرة.. تأخر وصول طائرته الخاصة، وصل إلى جدة الساعة الرابعة صباحاً، فوراً انتقل إلى المستشفى.. رأى حبيبه مسجى.. لم يتكلم الشيخ صالح، كما قيل لي، ظلَّ ينظر إلى الدكتور يماني، كأنه يتأمله كأنه يحاول أن يقول لنفسه، إنه ليس الدكتور محمد عبده يماني، إنه شخص آخر، لكن الحقيقة هي أن الجسد الفاقد للوعي

الذي يرقد أمامه، هو حبيبه وصديق عمره الدكتور محمد عبده يماني.. هو بكل الدلائل.. وبكل الملامح.. وبكل الصفات.. إلا صفة واحدة غابت.. وهي ابتسامته!!..

صمت.. ألم.. صدمة.. مصيبة، ظلَّ الشيخ صالح على هذه الحال قرابة ساعتين، قالوا له «إنك مُتعب.. عد إلى البيت.. لترتاح».

عدتُ إلى المستشفى قبل صلاة ظهر اليوم الثاني، التقيتُ المستشار عبد الله محمد عبده يماني، وقال لي إن والده كان قد قرر أن يعود ليسكن مكة المكرمة.. مسقط رأسه، ولم يكن يشغله في الشهرين الأخيرين من عمره إلا قصة بناء بيته الجديد في مكة، وكيف أنه أبكى المستشار عبدالله، عندما قرأ آخر لقاء صحفي مع والده، الذي كان ينعى نفسه في ذاك اللقاء.

وصل الشيخ صالح كامل إلى المستشفى بعد صلاة الظهر.. تخنقه العبرات.. الأخبار تأتي شحيحة.. كئيبة، ففي الساعة الثانية والنصف ظهر اليوم الثاني من ذي الحجة، كان بهو المستشفى يغص بالزوار، جاء الدكتور خالد بترجي واستأذن الشيخ صالح وأولاد الدكتور محمد عبده يماني، لينفرد بهم، وكأن خبراً مؤلماً سينقض

علينا، وبعد فترة قصيرة من الوقت، رجعوا.. وفهمنا بأن القلب يعمل لكن الدماغ شبه معطّل.

في الساعة الثامنة مساء، بدأ الأطباء والعائلة يتدارسون قرار نقل الدكتور يماني إلى المستشفى التخصصي ومن ثمَّ إلى ألمانيا، لأن حالته، يبدو أنها بدأت تتدهور.

يقول لي الدكتور خالد بترجي، أثناء إعدادي للفيلم الوثائقي عن حياة معاليه «إنني ولأول مرة في حياتي الطبية، التي تزيد على الثلاثين عاماً، أرى من هو في غيبوبة كاملة، أراه يبكي.. نعم، إنه كان يبكي.. وكأني به دموع الفراق.. بكاء الوداع..!!»

الساعة التاسعة مساء، تقريباً، توقف القلب «الطيب» حاول الأطباء إنعاشه.. لكن، وبأمر الله، سبحانه وتعالى، لم يرد القلب أن يعود إلى ملايين المحبين.. جاءني الأخ سعود دهلوي، ونحن في بهو المستشفى.. قال لي باكياً «الله يرحمه.. مات الدكتور» يا إلهي.. مات الدكتور؟ كأن جميع من في البهو كانوا ينظرون إلينا.. وكأن الخبر تسرب إليهم من خلال مشاعر الترقب التي كنا نعيشها.. ولكنهم لم يتأكدوا، أو بالأحرى، لا يريدون أن يتأكدوا

من الخبر..!! كأنهم خافوا من وقعه عليهم..

لكن سرعان ما نزل المهندس عبدالعزيز محمد عبده يماني ومعه الأخ عبد الله صالح كامل، وأعلن لمحبي الدكتور، قال «أُعزيكم في وفاة والدي.. لقد مات محمد عبد يماني»..!!

وفي زمن، أسرع من الوميض، انتشر الخبر في كل أرجاء القلوب التي أحبته، فهرعت إلى المستشفى.. علَّها ترى حبيبها قبل أن يوارى الثرى..

كنتُ مع الأستاذ محمد سعيد طيب والأستاذ عبد المقصود خوجة، نقذف بخبر الوفاة إلى بعضنا البعض من خلال نظراتنا المكسورة بألم الفراق، والكل واجم.. الكل يعزي الكل، كأنما جمعنا «اليماني» لنكون كومة من «الفجع» لا نملك إلَّا أن نتكاتف لنواجه تلك الصدمة المدوية.. التي أغلقت باباً من أبواب الخير.. والحب.. والإنسانية.. والطيبة.. والوطنية.. والعلم.. والتواضع.. والفكر.. لقد أخذت منا تلك الصدمة، وبيد غليظة، صاحب القلب الطيب.

وفي ذلك الوقت الشاحب.. رأينا باب المصعد يُفتح ليخرج كرسياً متحركاً يحمل هماً.. وألماً.. وذهولاً..

وبكاء.. وشجناً.. وتماسكاً.. رأينا الشيخ صالح كامل.. أقبل الكل يعزيه في هذا الفقيد الغالي.. وهو يغالب نفسه..

بعدها نزل معالي وزير الإعلام الأخ الدكتور عبد العزيز خوجة، متلثماً بالبكاء محاولاً أن يتماسك، إلاّ أن رحيل صديق عمره لم يسمح له أن يقف دون أن يتلحفه الحزن الكئيب..

أما الأخ الصديق السيد عبد الله فدعق، قد سنح لنا القدر من خلاله أن يصحبنا، محمد سعيد طيب وعبد المقصود خوجة وأنا، من السلالم الخلفية لنصعد إلى العناية المركزة، وكأننا نزحف على حزننا وشوقنا إلى غرفة الدكتور يماني، لنرى الصديق والأب والمعلم والمفكر والإنسان.. مسجىً..

إنه فارقنا..

ورحل إلى رب رحيم..

إلى رب كريم!!

نظرنا إليه النظرة الأخيرة، وكان معه ابنه البكر.. ياسر، وقد حمل وجهُه البؤسَ في ملامحه.. تقبَّل منا

العزاء.. عدنا أدراجنا نتسكع في ذلك الوقت القصير.. ولكنه كان طويلاً..!!

سمعتُ صوت نحيب معالي السيد أحمد عبد الوهاب، في بهو المستشفى، يبكى بأعلى صوته، بكاء الطفل على فراق أمه.. ومعه الدكتور عبد العزيز خوجة، محاولاً تهدأته على الفراق.. وكان يبكي.. يصمت ثم يبكي.. ويقول كنتُ على موعد معه.. وفجأة ينظر إليّ ويسألني «كمال.. هل مات عبده يماني؟» وينتظر إجابتي، كأنه يعتقد أني سأقول له «لا.. يا سيد.. لم يمت» فتداهمه نوبة البكاء قبل أن أتكلم.

خرجنا، كلنا، من المستشفى، اتصل بي الصديق الدكتور عبد العزيز الصويغ.. ولم أسمع صوته، على الإطلاق، سمعتُ نحيبه يشق فؤاده حسرة على وفاة رئيسه في وزارة الإعلام.. كأنه يريد مني أن أعزيه، ولكن هيهات.. هيهات، فكلانا كان ينوح من ألم..!!

وأنا في الطريق إلى بيتي، كنتُ أسأل نفسي، كيف سيكون الغد ولا يوجد محمد عبده يماني؟ حينها، وفي غمرة ذهولي وحزني، لا أدري كيف تذكرتُ كل ما دار بيني وبين معاليه، من سجل الذكريات التي نشرتها له

عام 1414هـ، في جريدة المدينة في صفحة «هؤلاء يتذكرون».. تذكرت الغرفة الصغيرة اللصيقة بمكتبه في الدور الخامس في برج دلة القابع في شارع فلسطين.. تذكرتُ جلوسنا أرضاً، فقد أثثها «جلسة عربي» تذكرتُ كيف كنا ننتقل بالحديث عن مراحل حياته.. في مكة المكرمة.. في أزقتها.. وكتتاتيبها.. ومدرسة الفلاح.. وجامعة الرياض، التي تحولت فيما بعد إلى جامعة الملك سعود، ورحلته إلى أمريكا ثم العودة وزواجه من مريم عبد الله كامل، ثم العودة إلى أمريكا مرة أخرى، والتخرج والعودة إلى الجامعة والتدريس فيها.. ثم عمله وكيلاً لوزارة المعارف للشؤون الفنية.. ثم مديراً لجامعة الملك عبد العزيز.. فوزيراً للإعلام...!!

كلٌ هذا...؟!! وفي لحظات قصيرة..

غريبة هذه الذاكرة تحركنا وتنقلنا من عالم إلى آخر دون أن نشعر، ومن حالة إلى حالة دون أن ندري، وفي أوقات غريبة.. وفي فترة زمنية قصيرة جداً ..أقصر مما نتخيل، إنها تتحكم بنا كما تشاء وكيفما تشاء.. ووقتما تشاء.. وكثيرٌ منا، يحاول أن يهرب من تلك الذاكرة، إلا أنه، سرعان ما ينهزم أمامها..

الذاكرة، هي الروح التي تجعلنا في حركة دائمة.. الذاكرة هي التي تفرحنا.. وكما أن الذاكرة، هي مصدر كبير من مصادر الألم..!!

هل فعلاً مات معالي الدكتور محمد عبده يماني؟

نعم مات.. ولابد أن نؤمن بقضاء الله وقدره، ولكننا، كلنا، كل محبي الدكتور، فجعنا بهذه الخطفة، التي باغتتنا بها القدر.. وخطف منا ما كنا في أمسّ الحاجة إليه.

ورأيتُ أن أعيد نشر تلك المذكرات في هذا الكتاب، الذي بين أيديكم.. لنتشارك الحب والحزن..

إنه أسعدنا بحياته..

إنه أتعبنا بفراقه..

كمال عبد القادر

جدة

محرم 1432هـ

ديسمبر 2010م

ملامح زمن..

ولدتُ أيام الزمن الجميل.. الذي يتفق الكثير، من أبناء جيلي، في كيفية الحياة التي عشناها في تلك الأيام.. زمن الحب المتبادل والعطاء.. وعلى أطهر بقاع الأرض.. على أرض مكة المكرمة..

عام 1940م، هو تاريخ ميلادي، في حارة «جياد».. حيث النشأة الأولى من حياتي، ثم انتقلتُ إلى حارة «المسفلة» وكنتُ أدرس في الحرم المكي الشريف، وتحت فوانيس (القاز) انتقلتُ إلى مدرسة الفلاح في حارة الشبيكة، حصلتُ على الإبتدائية منها عام 1953م، والإعدادية عام 1956م، والثانوية عام 1959م، وفي أثناء تلك المرحلة انتقلتُ إلى حارة المسفلة بجوار بركة ماجد وبرحة الطفران.

وهذه المعطيات الهامة، في تلك المرحلة من التاريخ، تتكون نواة الشخصية لدى الإنسان، فبين عناء

الفقر وشدة الطموح، وبين الرغبة في التعلُّم واكتشاف هذا العالم وأسراره، وبين خدمة ضيوف الرحمن، وبين العمل والجهد لتحقيق الذات بصور مختلفة من العمل الشاق طلباً للرزق، ساهمت، تلك الظروف القاسية من شظف العيش والكفاح المبكر وحب العلم والاطلاع، في صياغة شخصية ذلك الجيل، ثم صقلها أساتذة وعلماء أجلاء في أروقة المسجد الحرام.

كما كنتُ أدرس في «الكُـتّـاب» وهو أحد أهم المظاهر التعليمية المنتشرة تلك المرحلة القديمة، وكنتُ في كُتّاب السيدة «خديجة جاوية» وكتّاب «مريم البغدادية» وكنّ نساء فاضلات، يُدرسنَ الصبية والفتيات ويعتنين بهم، لوجه الله تعالى، دون مقابل، بل كنَّ يُطعمن الأطفال وينفقنَ عليهم، وهذا الأمر، لم يكن مستغرباً في ذلك الوقت، إنما كان سمة ذلك العصر.

كان والدي، حريصاً على تربيتي تربية مستقيمة وواضحة، وهذا الأمر لم يكن مقتصراً على والدي فقط، إنما آباء ذلك الجيل كله، كانوا حريصين على تربية أبنائهم تربية متدينة قائمة على الصلاح وحب الخير وحب الآخرين، وما ساعد على ذلك، أيضاً، أن معطيات

ذلك العصر كانت محدودة، ولم تكن هناك مؤثرات على الجانب التربوي، ولذلك فقد كانت حياتنا مشبعة بمفاهيم نقية صافية.

وقد كانت القراءة هي المنفذ الوحيد الذي يخرجنا إلى خارج الحدود، فنهلنا بشكل نهم من منبع القراءة، وكنا نتبادل الكتب فيما بيننا، وأذكر كلاً من الأخوة محمد سعيد طيب والسيد عبد الله الجفري كنا نتبادل الكتب، إضافة إلى حلقات الدرس التي كانت في الحرم المكي الشريف، والتي كان لها الأثر الكبير في توسيع مداركنا الفكرية وتنمية ثقافتنا بشكل عام.

والدي كان يعمل فراناً، وكنتُ أعمل معه في الدكان بعد أن أنتهي من المدرسة، كما كنت أبيع في الحج المبردات و(الشربيت) وكنت أطوّف الحجاج، وذلك، كله، لكي يشعرني بالمسؤولية ويزرع في داخلي معنى الرجولة، منذ نعومة أظافري، وكان يصحبني معه في مجالس العلماء السيد علوي المالكي والسيد محمد نور سيف والسيد محمد أمين كتبي.

والدتي كانت أكثر شدة من والدي، رحمها الله، وهي من بيت «الأهدل» وهذا لا يعني أن الوالد لم يكن

شديداً، ولكنه كان أكثر تفهماً، وكثيراً ما عاقبني، ولكن لم تكن العقوبات ناتجة من فراغ إنما لأنني كنت أستحق العقاب فعلاً.

وكان على علاقة وثيقة برجل فاضل هو الشيخ عبد الله كعكي، يرحمه الله، وهو شيخ (الفرانة) في مكة المكرمة، ولهذا الرجل فضل كبير جداً عليّ، لأنه كان يهتم بي كأحد أولاده، فلم يكن لديه أولاد، آنذاك، لذلك كنتُ ألقى عناية خاصة منه، وإلى أن توفى كانت علاقتي به قوية، وكان يهتم بدراستي ويتابعها، حتى أنني كنت أخبره بأي نجاح أحققه كما أفعل مع الوالد.

كنا في مكة المكرمة نفرح كثيراً إذا ما المطر انهل على أجسادنا الغضة، ولا نذهب إلى المدرسة يوم هطول المطر.. وعندما ذهبت إلى أمريكا، وبعد أن انتظمتُ في الدراسة، جاء يوم هطلت فيه الأمطار بشكل غزير، فلم أذهب إلى الكلية، واستمر المطر ثلاثة أيام، فلم أذهب إلى الكلية لمدة ثلاثة أيام، بناء على ما كنا نفعله في مكة المكرمة.. ولما سألني أحد الزملاء عن سبب غيابي، فقلت له (الدنيا بتمطر) فضحك وقال لي: هنا المطر يهطل يومياً ولو غبت عن الكلية كلما هطل المطر

فلن تدرس يوماً واحداً.

فصرت أذهب إلى الكلية تحت المطر والثلوج، وهذا التصرف يدل على براءتنا وصفاء ذهننا وتمسكنا بكل القيم والسلوكيات التي عشنا عليها.

ومهنة «الطوافة» من أهم رموز أو مؤثرات الاقتصاد، تلك الفترة، وهي من الدخول الأولى، إن لم تكن الوحيدة آنذاك، و «الخلق» هو عماد هذه المهنة التي يتشرف بها كل من عمل بها، والمطوف لم يكن يجرؤ أن يطلب من الحاج مالاً نظير طوافته، والحاج، أيضاً، يستحي أن يعطي المطوف مباشرة، إنما كان يضع ما تجود به تحت (الطوالة) أو تحت (المفرشة) وعند الوداع كان يقبل يد المطوف كمعلم، ويقول له المطوف (استر ما وجهت) وكان المطوف ينظر لهذه المهنة على أنها شرف كبير وخدمة يقوم بها.

ويرى أنها فضل من الله أن صار مطوفاً لضيوف الرحمن، ولم يكن المطوف يجمع المال لكي يستثمره، ولا يمتهن الطوافة من باب الاستثمار، إنما من أجل أن يعيش على ما يأتيه من الحجاج عامه القادم، فقط، هو وأسرته!!

ولم يكن الوضع المادي، بما نراه اليوم، بطبيعة الحال، واختلاف مصادر المال، بل كان المال شحيحاً، إلى حد أن من يجمع ألف ريال ويمتلكها، يسمى بيت «الألفي»..!! انظر إلى أي مدى، لم يكن للغة الأرقام ذلك الأثر في حياتنا، ولم يكن لها دور في تركيبة المجتمع.

بعد مرحلة «الكُـتّاب» انتقلتُ إلى مدارس الفلاح، في موقعها الأول، بجوار المسعى، وكان يرعى هذه المدارس، ولا يزال فضيلة السيد إسحاق عزوز أطال الله عمره (كتب معاليه هذه المذكرات قبل وفاة السيد إسحاق عزوز، يرحمها الله) وأنا من الذين سعدوا بأن أكون أحد تلامذته في هذه المدرسة التي بُنيت على الخير والبركة، وقد بارك الله في خريجيها كثيراً فمعظمهم تقلد مناصب كبيرة في الدولة.

وحين تخرجتُ من الثانوية، كان القدر يقف لي في حدث غيّر مجرى حياتي، فعلى الرغم من أن نشأتي كانت نشأة أدبية، أردتُ أن التحق بالقسم الأدبي في الثانوية، لكن لم يكن هناك سوى طالبين يريدان الالتحاق بالقسم الأدبي، أنا والمرحوم غازي جميل

بغدادي، فلم تستطع المدرسة أن تفتح فصلاً بهذا العدد فذهب غازي إلى مدرسة العزيزية، حيث كان فيها القسم الأدبي، ولم أكن أستطيع أن أذهب معه، لأني كنتُ من رواد النشاط الثقافي والأدبي ومن أبناء المدرسة من المرحلة الابتدائية، وعزَّ عليَّ أن أترك المدرسة، فقررتُ أن أغير تخصصي، حتى لا أضطر إلى ترك المدرسة، وهذا سبب كبير لتغيير مجرى حياتي، وظللتُ أصارع بين العلم والأدب، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

وكانت مدارس الفلاح تعطي الثانوية العامة في خمس سنوات، وليس في ست سنوات كما في نظام الحكومة، فمدارس الفلاح، هي مدارس أهلية أسسها المرحوم الشيخ محمد علي رضا، عام 1343 هـ، وكان قد أسس قبلها فلاح جدة، عام 1323 هـ، ولعبت دوراً هاماً وكبيراً في الحركة التعليمية في المملكة، وكان معترفاً بالثانوية العامة الفلاحية، ويدل هذا على مكانة هذه المدارس، وقد كنت آخر من تخرج من الفلاح على نظام الخمس سنوات.

بداية الحياة..

عند التخرج من الثانوية عام 1959، كنتُ أريد أن أُبتعث إلى القاهرة، مثل طلاب مدرسة تحضير البعثات، ولكن وقع خطأ في إدارة التعليم منعني من البعثة أنا والأخ سالم مليباري، وكان والدي حريصاً أن أدرس في جامعة الملك سعود، وعندما رأى أن هذا الحال، سبب لي ضيقاً وأصابني بالتذمر، لأنني لم أسافر قال لي: (لا تعتقد أن حرصي بأن تبقى هنا في جامعة الملك سعود يحول دون تحقيق أمنيتك وتسافر إلى القاهرة، سوف أبيع البيت الذي نملكه وابتعثك إلى القاهرة) ولكني رفضتُ، رغم إصراره الشديد على ذلك، حتى الأخ سالم مليباري كان لدى والدته بعض العقار أراد أن يبيعه ليسافر، لكن نصيحة أساتذتنا، مثل الشيخ إسحاق عزوز والسيد علوي المالكي، بأن ندرس في جامعة الرياض، آنذاك، والتي تحول اسمها إلى جامعة الملك سعود بقرار

من الملك خالد بن عبد العزيز، يرحمه الله، هدّأت من (زعلنا) وسافرنا إلى الرياض.

وكنا خمسة طلاب تخرجنا من مدرسة الفلاح، سالم مليباري وأحمد باسهل وعمر منشي وعدنان خضري وأنا، وذهبنا إلى مدير القبول والتسجيل في الجامعة، الأستاذ عبد الرحمن عبد الكريم، وقلنا له إننا نحمل برقية من إدارة التعليم تتضمن أولويتنا في القبول فقال (الله يحييكم ما جانا غيركم).

لم أكن أحب الكيمياء، فاخترت الجيولوجيا بكلية العلوم، كنا ندرس في غرفة وننام في غرفة، لأنه لم تكن توجد أماكن لسكن الطلاب، وكان مدير الجامعة، حينها، الدكتور عبد الوهاب عزام، وبعده الشيخ ناصر المنقور، والحقيقة أن للأخير فضلاً كبيراً في تثبيت عرى الجامعة، لأنه، وبوفاة الدكتور العزام اهتزت الجامعة، ولم تكن هناك رغبة من قبل البعض في استمراريتها، لأنهم كانوا يرون أنها تمثل عائقاً أمام ابتعاث الشباب للخارج، وكانت تلك نظرة ضيقة، ولكن الشيخ المنقور كان حريصاً على استمرارية الجامعة.

والذي دعم موقف الشيخ المنقور، هو رائد النهضة

التعليمية، أول وزير للمعارف، آنذاك، الأمير فهد بن عبد العزيز، الذي عشق التعليم وأحبه منذ المراحل الأولى، وكان يزورنا في الجامعة، واستفاد الشيخ المنقور من دعم الأمير فهد وحبه للتعليم وكان يطلعه على احتياجات الجامعة أولاً بأول، وكان لهذا الدعم دور كبير في استمرارية الجامعة، ثم وصل عبد العزيز الخويطر أول سعودي يحمل شهادة الدكتوراه، وصار يساعد الشيخ المنقور في إدارة الجامعة، ثم صار مديراً للجامعة، ثم الدكتور رضا عبيد، وتوالت بعد ذلك الإدارات على الجامعة حتى أصبحت من أعرق الجامعات.

ولكن تظل البصمة الأولى لخادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبد العزيز، في دعم هذه الجامعة ثم للرعيل الأول الذي درس في هذه الجامعة، وكانت الظروف صعبة، مادياً، في تلك الفترة، فكلية العلوم لم يكن فيها (ميكروسكوب) واحد وكنا نستعير من الأستاذ علي الشاعر الميكروسكوب الوحيد في الكلية الحربية، وكان حينها رئيس الكلية الحربية، وكان يرسله لنا لكي ندرس عليه ثم نعيده إليه مرة أخرى، كعهدة علينا.

تخرجت من الجامعة عام 1963م، ثم عيّنت معيداً،

وأذكر أنني ساهمت خلال تلك الفترة باصدار أول مجلة في كلية العلوم باسم (مجلة العلوم).

قليل من الناس يدرك ويعرف طبيعة تلك المرحلة الصعبة وقصة الكفاح الطويل من أجل أن تقف هذه الجامعة على أقدامها اليوم، وتضم عشرات الآلاف من الطلاب، كانت ظروف صعبة، لكنها كانت في صالح الطلاب، من جانب آخر، فقد كنا نتلقى بما يشبه الدروس الخصوصية، لأن عدد الطلاب في الفصل لا يتجاوز كما ذكرت خمسة طلاب، وكان الأساتذة يُعتبرون من كبار الأساتذة في الدول العربية، وكانوا في بلدانهم، يدرسون في الفصل الواحد مئات الطلاب، ومنهم الأستاذ الكبير مصطفى السقا، وهو من كبار أساتذة اللغة العربية في مصر، كان يدرس طالباً واحداً في الفصل، هو الأخ محمد البتر!!

ثم جاء أساتذة كبار يدرّسون في هذه الجامعة العريقة، وأتمنى قبل فوات الأوان أن توثق أسماء أولئك الناس والمراحل التي خدموا فيها في إنشاء الكليات وكعمداء لها أو رؤساء أقسام، وأول كلية كانت كلية الآداب ثم كلية العلوم ثم كلية الصيدلة.

وقد سألت نفسي في ذلك الوقت، هل نحن بحاجة إلى كلية علوم وكلية صيدلة؟ كون هناك اهتمامات في مجالات أكثر حاجة، مثل الإدارة والاقتصاد، وأدركتُ أن الدولة في حاجة لأي تخصص في تلك الفترة، ولأي متخرج وبأي مستوى، كانت أجهزة الدولة تتلقف المتخرج، بل كانت تشترط لكل من يعمل خارج أجهزة الدولة أن يدفع نفقات دراسته!!

أزمة السعودية ومصر..

الأمة العربية، أعزها الله بكثير من النعم، لا يمكن حصرها، ومن أهمها أنها ذات دين واحد ولغة واحدة وتاريخ واحد ومصير واحد، أيضاً، وإذا كان هناك خلاف بين دولتين، فإن هذا الخلاف يظل في السطح ولا يستطيع أن ينفذ إلى جوهر العلاقة.

وما حدث بين مصر والمملكة من قطع في العلاقات عام 1958م، تقريباً، لم تتعد أن تكون خلافات سطحية نتيجة سياسات وقتية، أدت إلى هذا الخلاف، لكن ظلت العلاقات الجوهرية قائمة والحب المتبادل بين شعبي الدولتين لم يتأثر.

لم يتجاوز عمري ثمانية عشر عاماً، آنها، وبطبيعة الحال كنا متأثرين، كطلاب،، بتلك القطيعة لأن أساتذة لنا تركونا ورحلوا إلى بلادهم مصر، والحمد لله، أن هذه القطيعة لم تستمر طويلاً.

حين مرت ظروف قطع العلاقات بين المملكة وبين مصر، آنذاك، وتوقف المدرسين المصريين، وكان لهذا الحدث أن يوقف استمرارية الجامعة، لولا أن هب أبناء المملكة ممن يحملون شهادات عليا، أمثال الشيخ أحمد زكي يماني، الذي كان يدرس مادة القانون، والشيخ هشام ناظر، الذي كان يدرس مادة الاقتصاد، والشيخ حسن مشاري والأستاذ عمر فقيه والأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع، كل أولئك وغيرهم تدافعوا للتدريس في الجامعة إلى أن تعاقدت المملكة مع أساتذة من سوريا ومن العراق، آنذاك.

ولابد أن يكون هناك ايجابيات لأي قرار مهما بدا سلبياً في الظاهر، وكان من أهم الايجابيات في قرار قطع العلاقات بين مصر والسعودية، ثوب الكعبة، حيث كان يأتي من مصر عن طريق المحمل، في بداية الأمر، ثم عن طريق البواخر، وعند قطع العلاقات كان الأستاذ حسين عرب، أطال الله في عمره (لم يكن قد تُوفي حين تسجيل المذكرات) وزيراً للحج والأوقاف، وقامت الوزارة بعمليات، شبه معجزة، ليوفروا الخيوط والخامات المذهبة للحزام الذي يحيط بالكعبة، وتم تلبيس الكعبة ثوبها في نفس الوقت الذي كانت ترتديه من كل عام،

حين كان يأتي من مصر، وبعد ذلك استمرت صناعة ثوب الكعبة في المملكة، ولم تعد هناك حاجة لمصر في كسوة الكعبة.

وبعد أن تخرجت من الجامعة، وعملتُ بها كمعيد لمدة عام، ابتعثتُ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت عملية الابتعاث عادية، لأن كل من يرغب أن يبتعث، كانت الفرصة متاحة له، لم تكن هناك منافسة، وبمجرد أن تعمل معيداً في الجامعة، كان لابد أن تُبتعث، وحتى لو كنت تعمل في إحدى الوزارات وأردت أن تبتعث إلى الخارج لاستكمال دراستك، الوزارة تعمل على ذلك فوراً، فالأمور كلها كانت ميسرة، بشكل كبير، لأن الحاجة كانت قائمة لشباب متعلم ليتسلم موقعاً في الإدارات الحكومية ليعمل بها، وقد أثمرت تلك السياسة في وقت قياسي ولله الحمد، فقد أصبح لدينا أساتذة أكفاء في كل المجالات، وقد درستُ جيولوجيا اقتصادية واقتصاديات المعادن، وركزت على دراسات البحر الأحمر والثروات المعدنية، ولازلت أدرّس هذه المادة في جامعة الملك عبد العزيز.

أمريكا.. الهامبرجر

مكة المكرمة بالنسبة لأهلها، أي ساكنيها، أمر مهم جداً، ولإنسان بسيط، مثلي، عاش في مناخ أسري مترابط وحياة بسيطة جداً في كل مظاهرها، بعيدة كل البعد عن أي ترف وعن أي معطيات حضارية، بكل ما تعنيه الكلمة، كيف سيقابل ذلك العالم الفسيح الكبير والغريب الذي يدعى (أمريكا)؟! ولك أن تتخيل أن «مكاوياً» يسافر لأول مرة في حياته في بداية الستينات الميلادية، فيذهب إلى نيويورك؟!

وكنت أتوقع أن أصاب بصدمة حضارية كبيرة لكن، ولله الحمد، يبدو أن احتكاك أهل مكة المكرمة لكثير من الحضارات والثقافات من خلال الحجاج، خفف من وقع الصدمة وجعلني أتحمل تلك الصدمة وتلك الغربة.

عندما وصلت نيويورك، كنتُ خائفاً من أن أُسرق، وكان معي 2000 دولار وهو مبلغ كبير جداً، آنذاك،

فوضعتُ المبلغ في الحزام ووضعت الحزام في وسطي، وكنت أشعر بأنه أفضل مكان لئلا تـُسرق الفلوس، وكانت اللغة الانجليزية من أهم المشاكل التي واجهتها.

ومن المواقف الطريفة التي وقعت فيها، والمحرجة في نفس الوقت، أن أقرب مطعم بالنسبة لي كان عبارة عن طاولة دائرية، يقف الطباخ في وسط الطاولة وينادي على الزبون قائلاً: (ماذا تريد؟) وبشكل عصبي ولم أكن أعرف ماذا آكل..!! ولا يمكن لي الاختيار، فأنا لا أتكلم الإنجليزية، وبعد فترة عرفت كلمة (همبرجر) وهي كلمة غريبة عليّ، فلم نكن نعرف في مكة المكرمة (الهمبرجر) وصرت أجلس على الطاولة وأطلب (همبرجر) ولكني مللتُ (الهمبرجر) فقد كنتُ آكله يومياً، فرأيت، مرة، زبوناً يطلب (ستيك) وكان شكله شهياً، قطعة لحم مع بطاطس، فقررت أن أغيّر طلبي من (همبرجر) إلى (ستيك) وعندما جاء دوري وسألني ماذا تريد؟ بنفس العصبية.. تلعثمتُ ولم أنطق كلمة (ستيك) بطريقة صحيحة، فصار وبعصبية شديدة يصرخ عليَّ.. ماذا تريد؟ ماذا تريد؟ فقلت له: همبرجر.. همبرجر!!

وعلى الرغم من تجلدي إلاّ أن الإحساس بالغربة يسري في جسدي كالقشعريرة، والمشكلة أن ضعف اللغة يزيد من الإحساس بالغربة، وما كان مؤلماً، آنذاك، أنني والأخ أسامة عبد الرحمن، وهو صديق لي، كنا نشعر بالفشل في الدراسة، لأننا لم نكن نعرف ما يقول المدرس لجهلنا باللغة، وكان أسامة شاعراً حساساً، وهو الذي كان يخفف عليَّ غربتي وهو من أهل المدينة المنورة، وأذكر أنه كتب قصيدة طويلة أرسلها لي ينعي فيها فشلنا وضعفنا ولاسيما أن الجامعة هددتنا بالفصل إذا لم نرفع معدلاتنا.

ويقول في مطلع القصيدة:

الفكرُ ماحٍ والرجاءُ قليلُ
والنفسُ تسبحُ في محيط واسع
أنى تميل بها الرياح تميل
حاولت حل المعضلات فلم أجد
غير الرجوع فهل لديك بديل؟
حملتك جامعة الرياض مراتبا
كنفاتها الاظلال والتظليل

ما بين ممتاز «وجداً جيد»
هي في حقيقة أمرها مقبول!

عدت من أمريكا عام 1966م، بعد حصولي على شهادة الماجستير، تزوجت من مريم ابنة الشيخ الفاضل الوالد عبد الله كامل، وكانت ولازالت زوجة فاضلة، ولها دور مهم جداً في حياتي، فقد تحملت الكثير من المتاعب والمشاق، خاصة في أمريكا، حين كنتُ أحضّر رسالة الدكتوراه، وبطبعي، أنا أحب الحركة وأحب الفعاليات، فكنتُ رئيساً لجمعية الطلبة العرب، ثم رئيساً لجمعية الطلبة المسلمين، وكنت شبه قاض ومأذون شرعي، وكان الطلبة المسلمون يفطرون في مركز الجمعية أول يوم العيد، وكانت زوجتي تعد الأكل لأكثر من خمسمائة شخص، وهذا المركز هو مركز الديانات المشتركة.

وكان لاختياري لزوجتي أسباب عدة، منها أنها من بيت صالح ومعروف ووالدها من رجالات الدولة الكبار، وأخوها كان زميل دراسة وهو صالح كامل، وكانت الناس تقدر والدها بشكل كبير، وقد رزقني الله من هذه الزوجة الفاضلة ثلاثة أولاد ياسر وعبد الله وعبد العزيز

وثلاث بنات أكبرهن ما تزال في المرحلة الثانوية.

بعد عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية وقد حصلت على درجة الدكتوراه في الجيولوجيا الاقتصادية، عام 1968م، وكان حينها الدكتور عبد العزيز الخويطر هو مدير الجامعة وكان عدد أساتذة الجامعة السعوديين لم يزد عن خمسة أساتذة، فقط، لكن عدد الطلاب أخذ في الزيادة بشكل واضح وافتتحت كليات جديدة ككلية الطب وكلية الزراعة.

عملتُ في الجامعة، كأستاذ، في كلية العلوم لفترة، وفي عام 1972م، انتقلتُ إلى وزارة المعارف، كوكيل وزارة للشؤون الفنية، وكان للشيخ حسن آل الشيخ فضل في ذلك.. فهو الذي اختارني لهذا المنصب.

وبشكل عام، كانت أجهزة الدولة في ذلك الوقت تحتاج إلى كل القدرات السعودية المتعلمة، لأن الدولة كانت في فترة نهوض في القطاعات الحكومية، فأي شاب سعودي متعلم تتهافت عليه كل القطاعات ليعمل بها، والسبب في ذلك، بطبيعة الحال، قلة عدد المتعلمين وقلة عدد سكان المملكة بشكل عام، وأحمد الله أني كنتُ من أبناء ذلك الجيل، لأني حظيتُ بما فيه من معطيات

كثيرة ساعدت، وبشكل كبير، على تكوين شخصيتي، كما ساعدت على اكتساب الكثير من التجارب والخبرات في الحياة العملية، وعلمتني كيفية التعامل مع الآخرين بشكل فيه الكثير من الدراية ببواطن الأمور.

الجامعة الأهلية بجدة

قبل أن أقوم بالعمل في وزارة المعارف، كنتُ أعد وأقدم برنامجاً في التليفزيون اسمه (ندوة التليفزيون) ألتقي فيه بعدد من المفكرين والمثقفين وأطرح معهم العديد من القضايا الفكرية التي تهم المثقفين والمفكرين، آنذاك، ومن ضمن أولئك الذين التقيتُ بهم فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، وكان لأول مرة يظهر في التليفزيون، بشكل عام، والتليفزيون السعودي بشكل خاص، وكان مبدعاً في الحديث، ولفت انتباه الأستاذ المذيع أحمد فراج وحثني على الاهتمام بالشيخ الشعراوي واستقطابه للحديث في التليفزيون، وبعد إلحاح على الشيخ صار يقدم معي البرنامج وأسميته (رفيق الندوة) وكان يحاور الضيوف بشكل رائع ويثري البرنامج بروعة أسلوبه الشيق وفكره واطلاعه الواسعين، مما ساعد في زيادة نجاح البرنامج، وفتح الله على الشيخ

الشعراوي، بعد ذلك، وانطلق، نجماً تليفزيونياً، يقدم العديد من البرامج الدينية في التليفزيون المصري حتى صار إلى ما صار عليه اليوم.

وبعد أن عملت في وزارة المعارف كوكيل للوزارة للشؤون الفنية لفترة زمنية، انتقلتُ عام 1973م، إلى جامعة الملك عبد العزيز، كأول مدير لها، وقد انتقلتُ إلى جامعة حكومية، بعد أن كانت أهلية، وأعلى منصب فيها، حين كانت أهلية هو وكيل جامعة، لم يكن فيها مسمى وظيفة مدير جامعة، وبذلك أكون أول مدير لها وقد شرفت بذلك.

وعندما بدأت أمارس وظيفتي في الجامعة كان عدد طلابها لا يتجاوز 150 طالباً ومواردها كانت محدودة، وكان الطلاب يهربون منها إلى جامعة الملك سعود، لأن عدد سنوات الدراسة فيها كانت خمس سنوات، السنة الأولى كانت سنة تحضيرية، ولم يكن هذا النظام معمولاً به في جامعة الملك سعود.

وكان أول قرار اتخذته في جامعة الملك عبد العزيز هو أنني ألغيتُ تلك السنة التحضيرية وصارت مدة الدراسة بالجامعة أربع سنوات، واحتج عدد كبير من

الزملاء، آنذاك، ولكنني بررتُ لهم سبب القرار، ولنكون مثل جامعة الملك سعود، ولترغيب الطلاب بالانضمام إليها، وإن كنتُ لا أنكر أن لهذه السنة التحضيرية دوراً كبيراً ومهماً في تأهيل الطلاب قبل انخراطهم في الحياة الجامعية.. ولو كان لي من الأمر شيئاً لأعدت هذه السنة مرة ثانية.

وأنا مدير لجامعة الملك عبد العزيز، كنتُ أشعر أنني في مصنع للرجال.. فحياتي الأكاديمية عمّقت إحساسي بأنني أساهم في بناء أجيال متلاحقة، وكنت أشعر بفخر واعتزاز بأني على رأس مؤسسة تقدم خدمة جليلة للمجتمع.

وكنتُ حريصاً، منذ تولي زمام الأمور في جامعة الملك عبد العزيز، على أن تأخذ طريقها إلى التطور بخطى ثابتة وسريعة، وكان هناك تعاون كبير من الهيئة التأسيسية للجامعة، رغم أنهم تركوا الجامعة إلا أنهم ظلوا يمدونني بتعاونهم البناء.

كما أن القائمين على العمل، آنذاك، ساهموا، أيضاً، في تطوير الجامعة، أذكر منهم الدكتور عبد الله نصيف، الذي كان يعمل في جامعة الملك سعود وجئنا به

إلى جامعة الملك عبد العزيز والدكتور عبد الله باسلامة، الذي حمل لواء كلية الطب بالجامعة والدكتور عمر أسعد الذي عشق كلية الطب.

هناك العديد من أولئك الرجال، أعتذر عن عدم قدرتي الذهنية لتذكر الكل، لكن لا شك أن أسماءهم تسطر بأحرفٍ من نور وتكتب في سجل الكبار، لأنهم ساهموا في تطوير جامعة الملك عبد العزيز بشكل كبير جداً، سواء كانوا في الإدارة العليا أو أساتذة في الكليات، ولولا فضل الله عز وجل، وجهود أولئك المخلصين، لما استطاعت أن تقفز الجامعة هذه القفزات الحضارية المذهلة في فترة وجيزة.

تعتبر جامعة الملك عبد العزيز، رائدة في تأسيس المنهج اللاصفي، فقد أقامت أول مؤتمر للأدباء في المملكة، ومُنحتُ أول وسام يُمنح في البلاد، فقد كانت هناك (ميداليات) ولم يكن مفهوم الوسام معروفاً آنذاك وكان الكل يتساءل عن هذه الميداليات، ولأول مرة تمنح فيه الجامعة هذه الأوسمة وهذه الميداليات.. وكرمنا أدباء المملكة بصورة جميلة تظل في ذاكرتي إنها من أروع المؤتمرات التي عقدت وأتمنى أن تتكرر.

وعقدنا مؤتمراً للمعلمين، وكان له نتائج فعالة وكبيرة، انعكست على تطوير المعلم وتطوير المناهج، كما أقامت الجامعة، في تلك الفترة، المؤتمر الاقتصادي الأول، وهو أول مؤتمر اقتصادي عُقد في رحاب جامعة الملك عبد العزيز.

كل تلك الندوات والمؤتمرات، وغيرها، أوجدت صلة وصل قوية بين الجامعة وبين الجامعات العالمية وجعلت لها مكانة مرموقة بين جامعات العالم، والمرونة التي كان يتسم بها ذلك الوقت، لعبت دوراً في تسهيل الكثير من الأمور، وساعدتنا على تطوير الجامعة.

بدأت نسبة قبول الطلاب تزداد، وفتحت كليات جديدة، مثل كلية الطب وكلية الهندسة وكلية علوم البحار، وبدأنا في تنويع التخصصات المختلفة في الكليات، وبدأت أعداد تصل من خارج المملكة للدراسة في الجامعة، وتوالى بعد ذلك رجال أداروا دفة الجامعة ووصلوا بها إلى ما وصلت إليه اليوم.

وكان لمعالي الشيخ حسن آل الشيخ، وزيرالتعليم العالي، يرحمه الله، دورٌ فعَّالٌ ومؤثراً في النجاح الذي حققناه في جامعة الملك عبد العزيز، وأقول عنه،

للتاريخ، إنه كان رجلاً يمتلئ حباً للخير وحباً لتقديم كل ما يستطيع لإنجاز وإنجاح أي عمل وطني، وكان مرناً معنا، بشكل كبير، في سبيل تحقيق الهدف الأسمى للدولة، وما تميزت به فترة عملي مع معالي الشيخ حسن آل الشيخ، سواء كانت في وزارة المعارف أو وزارة التعليم العالي، كانت فترة عطاء منقطع النظير، وهو رجل ذو قلب كبير، وإذا لم ينفعك في شيء فلن يضرك، مهما كان الأمر، ولم يتعمد، يوماً، إيذاء أي أحد، ولم يكن رجلاً معقداً، وليس ذا أهواء شخصية، ويعتبر ثروة ورجلاً من رجالات الدولة العظام، ساهم في دفع حركة التعليم عدة سنوات طويلة.

هذا العمل الدءوب، كان امتداداً لبدايات جامعة الملك عبد العزيز، عندما كانت جامعة أهلية، وأجدني، هنا، أبوح بإحساسي الصادق عن تلك المرحلة في حياتي، فحين أتحدث عن جامعة الملك عبد العزيز، أشعر بسعادة في الحديث عنها، وعندما أذكر أولئك الناس الذين بذلوا أموالاً طائلة في ذلك الوقت وضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل تحقيق رسالة وهبوا أنفسهم لها.

أولئك الذين أعطوا صورة رائعة من التلاحم بين الحاكم والمحكوم.. بين الراعي والرعية.. حين أسسوا جامعة الملك عبد العزيز، كم أكون في غاية السعادة عندما أتذكر الشيخ أبو بكر باخشب باشا، وهو يتبرع بمليون ريال لإنشاء الجامعة، وكان هذا المبلغ قبل أكثر من ثلاثين عاماً (وقت تسجيل المذكرات) يعتبر مبلغاً كبيراً جداً، والذي دعم مسيرة الجامعة آنذاك، وهذه صورة مشرفة في غاية الجمال والإبداع في العطاء، حين استعرضها في مخيلتي أصاب برعشة حب للوطن وبانتعاش صادق للعطاء ونشوة عارمة بالوفاء.. وهذا العطاء جاء ضمن عطاء كبير من كوكبة درية يكاد زيتها يضئ لو لم تمسسه نار، هي اللجنة التأسيسية للجامعة الأهلية، حفرت أسماؤهم بنور في سجل العلم وتاريخ التعليم في هذه الدولة، وعلى أرض هذا الوطن، وكم أراها أياماً عطرة عبقة بالحب وروح الأسرة الواحدة، عندما كنتُ مديراً للجامعة، لأنني كنتُ أعمل مع أخوة منحوا الجامعة أرواحهم ووقتهم وقاوموا كل الظروف والتحديات لتستمر وتنهض وتسمو.

أذكر من أولئك الرجال، وهم كثر، الدكتور محمد

عمر الزبير والدكتور محمد علي حبشي، والدكتور حسن أبو ركبة، يرحمه الله، والدكتور مدني علاقي والدكتور عبد الله بغدادي وغيرهم، واعتذر لكل الذين لم أذكرهم، وعدم ذكري لهم يأتي من باب عامل السن، وإنني قد خرجتُ من تلك المرحلة، وقد خرجوا كلهم من عقلي، وتربعوا في قلبي، الذي كان يشاطر عقلي في حبهم، وما زال عدد منهم اليوم موجوداً وقد عدتُ زميلاً لهم في الجامعة.

قيام الجامعة يعتبر رمزاً من رموز التعاون بين الحكومة وأبناء الشعب في قيام هذه الدولة الفتية وتطويرها إلى ما هو أفضل، وأتمنى أن تتكرر هذه التجربة مرة ثانية، لاسيما وأننا في حاجة إلى جامعة أهلية في هذا الوقت أكثر من أي وقت مضى، (حين كتابة هذه المذكرات لم تكن هناك جامعات أهلية قد أنشأت) ومن حسن الحظ أن نظام التعليم العالي الجديد، صدرت فيه نصوص تشجع على قيام جامعات أهلية، وإن شاء الله ترى هذه الفكرة النور مرة ثانية، وتعتبر جامعة الملك عبد العزيز رائدة في تعليم الفتاة السعودية فلم يكن هناك قسم في جامعة الملك سعود لتعليم الفتاة.

الوضع الراهن

لابد أن نقف اليوم وقفة مخلصة، كما وقفنا في السابق، وأعطينا مثلاً لما يمكن أن تقوم به هذه البلاد، يجب أن نقف الآن ونعيد النظر في تخطيط الجامعات، لأن الأمر بلغ مداه وهناك خطورة عظيمة أراها من تكدس الشباب على أبواب الجامعات، لأنه ليس هناك من يرشدهم إلى باب غير باب الجامعة. الكل يقف على باب الجامعة، لأنه الباب الوحيد، ولم نعطه البدائل، ومن المؤسف، أن يتخرج آلاف من شبابنا إلى الشوارع، في وقت نستقدم فيه آلافاً من الأيدي العاملة من الخارج، الدولة قدمت جهداً كبيراً في مجال التعليم، إذاً لابد أن نتعاون في إعادة الصيغة التعليمية، مرة أخرى، ونرشد أبناءنا إلى القطاعات المنتجة البديلة حتى نستطيع أن نكمل المسيرة، وحتى لا يعاني أبناؤنا من هذا الفراغ الكبير، وأرى أن نتوقف عن قبول أي عدد في الجامعات، حالياً، بمجرد أن يتقدم للجامعة، ويجب أن ندرس سياسة القبول في الجامعات، وهي تحتاج إلى إعادة ترشيد، وهذا الترشيد يعني توجيه الشباب إلى وجهات أخرى غير الجامعة، وأن الجامعات نفسها يجب أن تعيد النظر في برامجها، بحيث توجد تخصصات ذات

علاقة بالمجتمع، لا تعيش في أبراج عاجية وتستمر في تخريج آلاف مؤلفة في تخصصات ليس لها عمل.

كل جامعات العالم تؤمن أنها في خدمة المجتمع، وعلى جامعاتنا أن تؤمن بهذا الهدف، أيضاً، وتعيد التخطيط له، وليس عيباً أن نخطط بما يتفق مع طبيعتنا، لن يضر الجامعة ولن يقلل من مستواها ولن يقلل من مكانتها العلمية أن تعيد تخطيطها بالشكل الذي يخدم المجتمع، وأن تنشئ برامج الدراسات المتوسطة لمدة سنتين، وإذا لم نعد ذلك التخطيط، سيستمر ذلك التدفق وهذا التخرج، سيضيع الطلاب وسيكونون عبئاً على الدولة، سيكونون في ضيق ونجد الشباب قلقاً غير راض عن نفسه وعن مجتمعه، وفي نتائج سلبية بكل المقاييس وخسارة لطاقات الأمة، وكل هذه الملايين التي تنفق على التعليم تسير في الطريق الخاطئ، لأنها تخرج شباباً بتخصصات لا يحتاجها المجتمع، كما أنني أنصح بإعادة تأهيل ذلك الكم الهائل الذي تخرج دون أن يكون له موقع يعبر من خلاله عن ذاته، ومن ثم توجيههم إلى قطاعات منتجة أخرى، كما أنه لابد أن تعيد القطاعات الخاصة النظر في سياسة التوظيف، وأن تقبل عدداً أكبر من الشباب السعودي.

فإذا كان هناك تعاون بين الجامعات والمجتمع والقطاعات الخاصة والجهات التعليمية والجهات التخطيطية والجهات المعنية، استطعنا أن نخرج من هذه الأزمة التي أصبحنا نغمض أعيننا عنها مع أنها مشكلة كبيرة بالنسبة للمستقبل، فمن الخطورة تركها هكذا دون تعاون أو دراسة.

○○○

للميكروفون، قصة طويلة معي ابتداء من المرحلة المتوسطة، وامتدت حتى وزارة الإعلام، وهي قصة مفعمة بالحب والمواقف والذكريات الجميلة.

والمايكروفون بطبيعة الحال، لمن لم يتعامل معه، له هيبة، ويخافه كل من يحاول أن يقدم عليه، دون أن يكون له خلفية مسبقة، ويفيد المرء في أمور كثيرة، أهمها أن يجعلك سريع البديهة، فلو تعثر عليك أمر وأنت أمامه، فلابد أن تكون ذكياً لتخرج من ذلك المأزق.

ولي موقف طريف مع المايكروفون، وهو أول تعاملي معه، وكان الموقف مع الأستاذ محمد شاهين، رجل

الإعلام المعروف، وهو من أوائل المذيعين السعوديين. عندما كنتُ في نهاية المرحلة المتوسطة، حدثت معركة البريمي والمشاكل التي حدثت في ذلك الوقت، وكتبتُ قصة عن تلك الواقعة أسميتها «على ضفاف البريمي» وقدمتها في المدرسة، وكان لها صدى جيد حيث أعجب بها الكل، والسيد إسحاق عزوز، كرمني وقدم لي هدية، فرحتُ بها كشاب صغير، مكافح، ويبدو أن كان في المدرسة من كان يراسل جريدة البلاد السعودية، فنشر القصة، وإذا بها تلقى صدى كبير لدى القراء، أيضاً، فطلبوا مني أن أسجل القصة في الإذاعة بصوتي، وكانت الإذاعة، حينها، في جبل هندي، والمدرسة لا تسمح للطالب أن يخرج منها مع أي أحد، فذهبتُ بصحبة أحد المدرسين إلى الإذاعة، وكان الأستوديو صغيراً، والأستاذ محمد بن شاهين موجوداً ومهندس الإذاعة، وبدأ التسجيل، بعد أن جلست على كرسي خشبي وأمامي المايكروفون، وقبل أن أتكلم حركت المايكروفون الرابض أمامي ليكون قريباً مني، فنهرني الأستاذ محمد شاهين وقال (يا ولد لا تلعب في المايكروفون هذا جهاز حساس وغال) فوجئت بهذه الصرامة في التوجيه، ولكن لم يكن

لمثلي إلا الامتثال، ودارت الأيام والتقيتُ بالأستاذ محمد شاهين، كأديب ومرب فاضل، وكنتُ أذكـرّه بالموقف، وكان يسعد لذلك.

وإذا قارنا إذاعة اليوم بإذاعة الأمس، لابد أن نحمد الله، على هذه المعطيات الكبيرة والخير الكثير الذي منّ به علينا، حين نقارن ما كنا عليه بالأمس القريب وما نحن عليه اليوم في كل جانب من جوانب حياتنا، لا أحد يصدق مقدار الطفرة التي نحن فيها اليوم، وأسأل الله أن يديمها علينا.

○○○

الإنسان، بطبيعة تكوينه وخلقه، يرفض أن يهان أو يذل، وما دون ذلك فيعتبر إنساناً غير طبيعي، وقد يتعرض المرء لبعض المضايقات في عمله، لكن تظل الكرامة مصانة في كل الأحوال، والحمد لله لم أشعر يوماً، بأي امتهان لكرامتي في أي مرحلة من مراحل حياتي الوظيفية، وقد وجدتُ نفسي في كل مكان وفي كل منصب، واستطعتُ أن أتخذ قراراتي دون تدخل من أحد في ظل الأنظمة المعمول بها.

ولكن المنصب الذي ارتحت فيه وشعرت بعطاء أكبر

هو الجامعة حين كنت أستاذاً أدرس بها، والحمد لله، عدت اليوم إلى مدرجات جامعة الملك عبد العزيز، أستاذاً أدرس بها مادة اقتصاديات معادن، ذلك لأنك تشعر وأنت تدرس وتتعامل مع الطلاب، أنك دائم الحيوية، متجدد العطاء، تعاملك مع أجيال عديدة، وليس جيل واحد وليس فئة معينة أو إطار محدد أو أشخاص محدودين، وتغير الأجيال يجعلك لا تشعر بتقدم العمر.

وأحمد الله أنني أنتمي إلى جيل اسمه «جيل الحمد» فقد كانت معطياته ضئيلة جداً، لكن عطاء ذلك الجيل كان كبيراً.. كبيراً جداً، كان لدينا إحساس أن نحفر في الصخر لكي نكون، وكان لدينا إحساس بأهمية تلك المعطيات على قلتها وندرتها أيضاً، فكنا نحافظ عليها بشكل كبير، لأنها سند لنا في بناء مستقبلنا الذي نحن فيه اليوم.

ولكن اليوم، وقد زادت الإمكانيات وتوافرت المعطيات وزاد الاهتمام بطلاب الجامعات من حيث المناخ، لكن استغلال الطلاب لها ليس جيداً، وليس كبيراً ولا يتفق مع حجم تلك المعطيات، وهذا جانب من جوانب عديدة، لعبت دوراً مهماً في تحجيم دور شباب

هذا الجيل للأسف، فالمقارنة بين جيل اليوم وجيل الأمس، تكاد تكون مفقودة، على الرغم من أفضلية هذا الجيل، من حيث الإمكانيات، وهذا لا يعني أننا لا نملك دكاترة أو مهندسين أو أطباء، ولكن قلة من نجدهم يعملون بنفس الروح التي انطلق بها جيل الأمس.

وزارة الإعلام

تلقيتُ نبأ تعييني وزيراً للاعلام من خلال مكالمة هاتفية من الأخ الدكتور أحمد محمد علي وأنا في مكتبي مديراً لجامعة الملك عبد العزيز، وقد جاء اختياري عام 1975م، وزيراً للاعلام في التشكيل الوزاري الذي تم، آنذاك، حينها كنت في السادسة والثلاثين من عمري، وكان شعوري في ذلك اليوم مجزأ إلى جزأين أولهما أنني كنتُ سعيداً بأنني سأخدم هذا الوطن من خلال منصب جديد.. وموقع أكبر، وفي نفس الوقت كنتُ حزيناً لأنني سأترك الجامعة التي عشتُ فيها أجمل أيام حياتي العملية.

كنتُ أدرك، تماماً، أن استمرارية المرء في مكان واحد أو موقع واحد أمر غير طبيعي، فدوام الحال من المحال، وكان لابد لي أن أنتقل، في يوم من الأيام، إلى مكان آخر لأخدم الوطن، ويأتي آخر إلى موقعي، ليقدم

شيئاً جديداً وعطاء آخر.

كما كنتُ مدركاً مدى حجم المسؤولية الكبيرة التي ستواجهني في الوزارة، فالمهمة ليست سهلة، ومحفوفة بكثير من المصاعب، ولكن إيماني الكامل بحسن الاختيار الذي يقوم به أولو الأمر في الدولة، خفف عني كثيراً، وجعلني أكثر ثقة في نفسي، لأنهم منحوني هذه الثقة، وعلى الرغم من بعد الجيولوجيا عن الإعلام، إلاّ أن الملك خالد بن عبد العزيز، يرحمه الله، وولي عهده، آنذاك، الملك فهد بن عبد العزيز، كانت رؤيتهما أكثر بعداً وأكثر دقة وأكثر حكمة.

واعتقد أن النجاح الذي تحقق، بفضل الله، ثم بفضل الأخوة في جامعة الملك عبد العزيز، لفت نظر ولاة الأمر، وجاء الاختيار، على الرغم أن وزارة الإعلام كانت من أصعب فترات حياتي العملية، ويبدو أن للشيخ حسن ال الشيخ دور في ترشيحي لهذا المنصب، حيث كان يتابعني في الجامعة، وبحكم علاقتي بالشيخ عبد الله كامل جد أبنائي، وكان دائم الثناء عليّ ودائم الحديث عني، فجاءت هذه الفرصة لأكون وزيراً للاعلام.

عندما عينتُ كوزير للاعلام، انتقلت مع زوجتي إلى مدينة الرياض، لكي استلم موقعي الجديد، ثم ذهبت للسلام على الملك خالد وأديت القسم، وكان مجلس الوزراء قد عقد برئاسة الملك خالد، يرحمه الله، ولم أعرف بعد بعض التفاصيل التي لابد أن أعرفها.

عُقد المجلس وناقش بعضاً من الأمور التي كانت مطروحة في جدول أعمال المجلس، ثم انتهت الجلسة وخرج كل الوزراء، ولم أخرج أنا، وظللتُ في المجلس، كعادتي في الجامعة لا أخرج إلا بعد نهاية الدوام بوقت طويل، فنبهني الأمين العام المساعد، في ذلك الوقت، الأخ عبد الله سلطان وقال لي (إن المجلس انتهى والوزراء خرجوا).. يعني أنني لابد أن أنصرف، ولم أكن أعرف بروتوكول مجلس الوزراء وطريقة عقده.

وعندما خرجتُ، وجدت حشداً من الصحفيين ينتظرني، وأخذوا يطرحون الأسئلة عليَّ، وكلها تتركز على ما دار في المجلس، بعد التشكيل الوزاري الجديد، وقلتُ لهم كل ما دار في الجلسة، ولم يكن هناك أمور سرية نوقشت تتطلب الكتمان، وبعد أن فرغتُ منهم، عدتُ إلى البيت وتناولت وجبة الغداء وذهبت، بعدها،

في نوم عميق، وما أن استيقظت من نومي، قالت لي زوجتي:

«إن ديوان مجلس الوزراء اتصل أكثر من مرة ولم أشأ أن أوقظك من نومك، فقلت لهم إنك نائم وستستيقظ بعد صلاة العصر».

قلتُ لها: لو أيقظتني لعل هناك أمر مهماً، ونحن في حوارنا اتصل الأخ عبد الله سلطان وقال لي:

«يا دكتور أخبار مجلس الوزراء في الإذاعة والتليفزيون، ولم تستأذن في ذلك، وإن المتبع أن نقول درس المجلس جدول أعماله واتخذ القرارات المناسبة حيال ذلك».

فقلت له:

«على أية حال.. الخبر قد نشر وتناقلته وسائل الإعلام وليس هناك من مجال لإعادته».

وما أن أنهيتُ المكالمة، وعرفتُ أني ارتكبتُ خطأً كبيراً، سيكلفني الكثير، التفتُ إلى أم ياسر، ورأيتها تفتح الحقائب، لتخرج الملابس منها، فقلتُ لها:

«لا تفتحي الشنط.. شكلنا حنرجع لجدة..!!».

واتصل بي بعد ذلك بعض الوزراء يتكلمون عن هذا الخبر، فقلت لهم:

«لماذا لم تخبروني بما هو متبع في هذه الأمور؟».

وفي اليوم الثاني ذهبت للملك خالد، وكان ولي العهد موجوداً في المجلس، وكنت متوجساً مما حدث، وإذا بالملك خالد والأمير فهد يثنيان على فعلت من إذاعة الخبر وأن هذه الخطوة جيدة وجديدة، تنفستُ الصعداء، ومن بعد ذلك التاريخ أصبحت عادة في مجلس الوزراء أن تذاع الأخبار بعد كل جلسة!!

إيه يا وزارة الإعلام.. كم أحببتُ هذه الوزارة والعمل بها.. وكم تعبتُ فيها تعباً مضنياً.

هذا التناقض في الشعور علمني الكثير في حياتي العامة.. تعتبر الوزارة أكبر امتحان في حياتي، لأنها مرحلة دقيقة وحرجة جداً، والعمل في الوزارة عمل حساس إلى درجة كبيرة جداً.. وقد كنتُ على علم بحجم هذه المسؤولية وضخامتها وعظمها، ومن جوانب حساسيتها أنها تتطلب سرعة في صنع القرار، وفي ونفس الوقت يكون قراراً يرافقه الكثير من الصواب، وهذه معادلة صعبة وتكاد تكون شبه مستحيلة.. وقليل من

الناس، يعرف محنة الإعلان ومشاكل الإعلام وظروف وزير الإعلام، وكل من يعمل في أي جهاز من أجهزة وزارة الإعلام الحساسة.

وبدايات العمل في الوزارة كانت عاصفة وشديدة، لدرجة أنه منذ أن صدر قرار تعيني وزيراً للاعلام ومباشرتي للعمل، جاءني الأستاذ بدر كريم في المساء ببعض الأخبار والمعاملات، ومن شدة إحساسي بعظم المسؤولية، وهو الحدث بالنسبة لي، طلبت منه تأجيل كل شيء إلى وقت آخر، حتى أستعيد نفسي التي تناثرت، وألتقطُ أنفاسي لكي أستطيع أن أعالج تلك الأمور والمعاملات، بشكل جيد، وكان الحزن مازال ينتشر في مساحات كبيرة من فؤادي، لأني تركت الجامعة، تلك المؤسسة الجميلة التي تلقفتها جنيناً، خرج من قدرة ومواقف رجال كبار.. وبعد أن عشتُ كل لحظات نموها حين حبت.. وحين كانت تحاول أن تستجمع قواها لتقف على قدميها الغضتين.. وحين بدأت تتعلم أن تخطو إلى الأمام.. وحين مشت وتعلمت قدماها رسم مكان لها على خريطة العلم، وحين بدأت تنقش في عقول الكثير لغة الحرف.. لغة الكلام.. لغة العلم.. حزينٌ أن أرى ذلك الكائن الذي عشتُ أيام مهده وصباه وفتوته.. حزين أن

أبتعد عنه.. لكن أعلل النفس أن الوطن يُخدم من كل مكان وفي كل موقع.

والعمل في الوزارة، أثرى حياتي كثيراً، وأعطاني الفرصة بالاحتكاك مع أناس كبار، سواء في الإعلام أو السياسة، في المملكة أو في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وأعطاني الفرصة أن أعمل عن قرب مع الملك خالد، يرحمه الله، وسمو ولي عهده، آنذاك، الملك فهد، وأن أعمل مع صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، وأن أعرف الكثير عن مجريات الأمور، كل هذه الأمور لا يمكن أن أعرفها، ما لم أكن في مثل هذا المنصب، كما أن العمل في الوزارة كان يعرضني للكثير من الإحراجات في بعض المواقف.

اعتقد أن وزارة الإعلام، أوجدت نوعاً من تعميق العلاقة بينها وبين رجال الصحافة، ربما لأنني أعتبر نفسي أحد رجال الصحافة، حين عملتُ في جريدة البلاد السعودية وجريدة الندوة، في فترة مبكرة من حياتي، حين كنا نتكب في صفحة «دنيا الطلبة» التي كان مسؤولاً عنها الأستاذ المربي عبد الرزاق بليلة، لذلك لا أعتقد أن هناك فجوة بيني وبين الصحافة مطلقاً.

وكنت حريصاً على حماية رجال الصحافة، بقدر الإمكان، من غضبة عابرة من زلة، أو من تصريح نشر بغير قصد من مقال لم يفهم جيداً، والحمد لله، أن بعضهم يشهد بتلك المواقف جيداً، إلا، بطبيعة الحال، حين نرغب في تغيير رئيس تحرير، وكانت لنا صراعات حميمة، مع مجموعة من رؤساء التحرير، لكن انتهت، ولله الحمد، على علاقات قوية.

لا شك أنني قد كسبتُ كثيراً من عملي في وزارة الإعلام، ومن أهم تلك المكاسب الأسرة الإعلامية الحميمة، سواء في القيادة العليا، مثل الدكتورعبد العزيز خوجة والأستاذ إبراهيم القدهي والدكتور صالح بن ناصر والأستاذ بدر كريم والأستاذ عبد الرحمن الراشد والأستاذ محمد المنصور والأستاذ أحمد القحطاني والأستاذ عزت مفتي والأستاذ عبد الرحمن الشبيلي والدكتور محمد خضيري والأستاذ حسين عسكري، وهي مجموعة كبيرة جداً لا أستطيع أن أذكرها كلها واعتذر عن عدم ذكري لبعضها، ومن فضل الله عليَّ، بأنها ساهمت بشكل كبير في نجاحي كوزير إعلام، وقد حفلت، تلك الفترة، بالعديد من المنجزات مثل، افتتاح إذاعة القرآن الكريم واذاعة قرارات مجلس الوزراء،

التي أصبحت، فيما بعد، عادة متبعة في دول الخليج جميعها، وتطوير التلفزيون، وإعطاء فرصة اوسع للمثقفين للمشاركة في الحياة الإعلامية، وكذلك إدخال الأغاني الغسائية، وإتاحة الفرصة للمرأة لأول مرة بقراءة الأخبار في الاذاعة، وأصدرتُ قراراً باعطاء حرية أكبر لمديري الجامعات وأساتذتها باستيراد الكتب وعدم مراقبتها، وفي تلك الفترة، أيضاً، تم إلغاء الرقابة على رؤساء التحرير، وتركزت الرقابة، فقط، على المواد التي تتعارض مع المباديء والقيم، كما قررتُ عدم مراقبة كتب أدباء المملكة، ولأول مرة تم، من خلال وزارة الإعلام، اشراك رؤساء التحرير في الزيارات الملكية الرسمية ودعوتهم إليها، وقد أصبحت عادة متبعة حتى اليوم.

وفي تلك المرحلة تم دفع بمجموعة من الشباب الاعلامي وتسلمهم رئاسة تحرير بعض الصحف، فأثبتوا وجودهم وبعضهم قاد صحفه إلى مستويات كبيرة من النجاح ولا يزال حتى اليوم.

وكانت علاقتي بالملك فهد، علاقة قديمة، منذ أن كان وزيراً للمعارف، وكنتُ في نفس الحقل، فهو لا يمثل

رئيساً إدارياً، فقط، إنما كان يجسد دور الأبوة، بكل أبعادها، من حيث التوجيه والنصح والاهتمام، وهذا كله، انعكس، بشكل واضح، في سياسته لإدارة دفة الدولة التي خطت خطوات هائلة، بفضل هذه السياسة الحكيمة.

وحتى بعد أن تركتُ العمل في الوزارة، استمرت العلاقة قوية جداً، وهذه دلالة تؤكد أن علاقة الملك فهد بكل الوزراء علاقة حميمة متصلة لا تنقطع بانتهاء العمل القائم.

الضجيج الإعلامي..

للأسف الشديد، أننا في عالمنا العربي، أصبحنا نعالج موضوعاتنا بطريقة إعلامية، وهذا يخدعنا كثيراً ويغيّب الحقيقة عن الجميع، لأن الزخم والضجيج الإعلامي، يصبح في المحصلة كـ«ضجيج لا طحن خلفه» وهذا يؤثر في صناعة الأجيال القادمة، ويجعلها أجيالاً إعلامية تحب أن تتحدث أكثر مما تعمل، وفي غياب الجدية والفعالية والمسؤولية لا تستطيع أن تنتج شباباً يتحمل المسؤولية ويقود الأمة قيادة صحيحة، فهذه الضوضاء وهذا الضجيج يبدو أن الكل وكأنه يعمل، مع أنه لا يؤدي العمل المطلوب منه كاملاً، أيضاً، في برامجنا التعليمية والثقافية، يدخل في نفس الحالة، وكلها، لا تحقق الأهداف التي رُسمت لها.

إذاً لابد أن نسأل أنفسنا، بشكل أكثر جرأة، هل نحن أمة جادة هل نحن أمة فاعلة؟ ما الذي حدث؟ الأمم

كلها تسأل نفسها، لماذا لا نسأل أنفسنا، ما الذي طرأ على مسيرة الأمة التي أكرمها الله برسالة سامية، وأكرمها بثروات عظيمة، كل هذا يؤهلها لأن يكون لها القيادة.

لكن الضجيج والانفعال يكون له مردود عاطفي، أكثر مما يكون له مردود حضاري بنائي صحيح، لكننا نضيع في هذا الإطار، ونتحول إلى أمة بائسة مغلوبة على أمرها، مع أنه ليس فيها شيء يوجب أن تكون بائسة وكل مقوماتها تجعلها في المقدمة.

عام 1983م، انتهت الوزراة بقضها وقضيضها، وما أن انتهى دوري في وزارة الإعلام، كوزير، شعرتُ برغبة جامحة للعودة إلى قاعات الدراسة والمدرجات في الجامعة، وخالجني إحساس عارم وحنين دافئ إلى تلك العلاقة الجميلة وتلك الحياة التي كثيراً ما اشتقتُ إليها.. تلهفتُ إلى تلك المرحلة المهمة في حياتي، لأنني أعتقد أنها أكثر مراحل حياتي من حيث العطاء، فقد أعطيتُ فيها، بشكل كبير، عندما كنتُ أستاذ جامعة، قبل أن أنتقل إلى وزارة الإعلام.

وعندما دخلتُ جامعة الملك عبد العزيز، كأستاذ،

وذهبتُ إلى كلية علوم الأرض، أُستقبلتُ من قبل الأساتذة الأفاضل، في الكلية، استقبالاً دافئاً وأرشدوني إلى الغرفة التي خُصصت لي، وقد ملئت كتباً ومراجع في الجيولوجيا، هذه الحفاوة والاستقبال الجميل، ليس مستغرباً من جامعة كجامعة الملك عبد العزيز، ولكن المفاجأة هي أنني لقيت مراجع خاصة بي في الاقتصاد الجيولوجي والمراجع الأساسية، وكانت بشكل منظم، وكأني، جئتُ، أنا شخصياً، ورتبتُ هذه الكتب، وبذلك النظام وبتلك الدقة، استغربت كثيراً، وقلتُ، هل وصلت الجامعة إلى هذا المستوى الكبير؟ الذي أرى فيه كتباً ومراجع في غرفة أستاذ الجامعة وبهذا التنظيم وبهذا الترتيب؟

وبعد أن أخذت مكاني في المكتب، وإذا بأعداد كبيرة من أساتذة الجامعة، جاءوا للسلام عليّ، ومعظمهم كانوا طلابي، قبل أن أترك الجامعة، منهم د.عبد العزيز رادين، عميد كلية علوم الأرض، والدكتور محمد نصيف والدكتور المرزوقي والدكتور فاروق عبد الستار وعدد كبير لا أذكرهم اليوم.

رأيت هذا الجمع الكبير من الطلاب، الذين تحولوا

إلى أساتذة ومدرسين كبار، كنتُ فخوراً بهم وسعيداً بهم، كلهم، وهذا الحصاد أجنيه، ومازلت في سن مبكرة في ذلك الوقت.. شعور رائع أعتقد أن أي إنسان يشعر بذلك الشعور أو يكون بطل هذا الموقف، ثق تماماً، أنه لن يجد ما يعبر عنه من كلمات، لأن الإحساس أكبر بكثير من أي لغة يجيدها أي إنسان.

لذلك أقول إن الحياة الجامعية، التي عشتها في الماضي، هي من أخصب فترات حياتي ومن أروعها، من حيث الروح ومن حيث جمالها.. من حيث النتائج، فكم أسجل تلك اللحظات التي يراني فيها طالب من طلابي، في أي مكان، ويأتي ويسلـم عليَّ ويعرّفني بنفسه.. إنها لحظات الحصاد.. لابد أن تسجل أنها لحظات جميلة.. جميلة.

أخيراً

أعتقد أنني تحدثت عن كل جوانب حياة الدكتور محمد عبده يماني، وليس هناك أي جانب من جوانبها أخفيته، وسردتها كاملة بسلبياتها وإيجابياتها.

اليوم، وبعد أن مضى على هذه المذكرات، قرابة ستة عشر عاماً، اقتربتُ فيها من معاليه، كثيراً، ورأيتها

كثيراً في مواقف إنسانية، كان غاية في السمو الإنساني.. وأعرف أنه كثيراً ما كان يوظف وجاهاته ومكانته عند كثير من المسؤولين، بدءاً بالملك خالد والملك فهد، يرحمهما الله، والملك عبد الله، والأمير سلطان والأمير نايف، يحفظهم الله، وانتهاءاً بأصغر مسؤول.. ولم يكن يعنيه إلى ماذا ستأول شفاعته، ولكنه، يدرس الموضوع بحكمة ثم يتوكل على الله، ويُقدم إلى الجهة المعنية أو إلى المسؤول المعني بالأمر.

حتى للجانب الاجتماعي، فكان يخصص وقتاً كبيراً لإصلاح ذات البين، فكثير من الأسر، لجأت إليه ليحكم في خلاف بينها.. أو صراع من أجل إرث.. ولإدراك الشيخ صالح كامل، بأهمية هذا الدور الذي كان يقوم به معاليه، يرحمه الله، أنشأ كرسياً في جامعة الملك عبد العزيز، أسماه كرسي «د. محمد عبده يماني لإصلاح ذات البين».

وحين كنتُ أعمل في الفيلم الوثائقي للدكتور عبده يماني، كنتُ أطرح أربعة أسئلة وهي محاور العمل:

السؤال الأول:

لماذا أحب الناس محمد عبده يماني؟

والكل أجمع، على طيبته وتواضعه وبسطاته وحبه للخير والعطاء بلا حدود.

السؤال الثاني:

ما هي الساحة التي تركها محمد عبده يماني؟

والكل أجمع، أيضاً، على أنها مساحة كبيرة جداً.. جداً.

السؤال الثالث: ألم تختلف مع محمد عبده يماني؟

والكل، قال: إنه لم يكن يترك مساحة لأن تختلف معه، لقدرته في التعامل مع المواقف، وإذا كان هناك من يختلف معه، فإنه يقبل هذا الاختلاف، بل ويأخذ برأي المختلف، إذا رأى أنه هو الصحيح.

أما السؤال الأخير..

كيف تلقيتَ خبر وفاة معاليه؟

فكانت الإجابة مصحوبة بالدموع..!!

الوصية..

كتب معالي الدكتور محمد عبده يماني، يرحمه الله، وصيته قبل أن يموت، وكانت محل إعجاب الكثير ممن اطلع عليها، بل وهي مؤثرة إلى حد كبير، كان يهمني جداً أن أضمنها هذا الكتاب، لعل من يقرأها يستفيد منها في حياته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه: محمد عبده يماني ـ أبو ياسر: هذه وصيتي التي أوصي بها أهلي وأولادي من بعدي.

أبدأ وصيتي هذه بالثناء على ربي، عز وجل، فأقول: اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، جاءنا بالبينات من ربنا، فآمنّا به، واتّبعنا النور الذي أُنزل معه.

اللهم لك الحمد أنت خلقتني، ورزقتني، ثم تميتني، ثم تحييني، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنّة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ، حق، وأشهد أن عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلّا أنت، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

اللهم إني استغفرك وأتوب إليك، وأؤمن بك وأتوكل عليك، وأثني عليك الخير كله، أشكرك ولا أكفرك، وأخلع وأترك من يفجرك. اللهم إيّاك أعبد، ولك أصلّي وأسجد، أرجو رحمتك، وأخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق.

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة القبر، ومن ضغطة القبر، يا

أرحم الراحمين، اللهم يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك.

اللهم أحيني مسلماً، وتوفني مسلماً، وألحقني بالصالحين.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير أعمالي خواتيهما، وخير أيامي وأسعدها يوم ألقاك يا كريم، واجعلني من أوليائك وأحبابك، أحب فيك مَن أحببت، وأعادي فيك مَن عاديت.

اللهم اجعل حبك وحبك نبيك ﷺ، أحب إليّ من نفسي ومالي وأهلي، ومن إخواني وعشيرتي، ومن الناس أجمعين، ومن الماء البارد على الظمأ في اليوم الشديد الحر، بفضلك ورحمتك يا حليم.. يا عظيم.. يا كريم، يا حنان.. يا منان، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم زدني ولا تنقصني، وأعطني ولا تحرمني، وأكرمني ولا تهني، وآثرني ولا تُؤثر عليّ، وارضَ عني وأرضني، اللهم زدني رضا منك، وزدني رضا عنك، وارضَ اللهم عني وعن أهلي وأولادي وأحفادي، وسائر إخواني، واحفظهم بحفظك، ولا تفتنهم بعدي، واجمعني وإيّاهم في مستقر رحمتك، ودار كرامتك مع النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين، يا كريم.. يا حليم.. يا عظيم، يا حيّ.. ويا قيوم.. برحمتك استغيث، فلا تكلني إلى نفسي، ولا إلى غيرك طرفة عين، وأصلح لي شأني كله.

اللهم إني اسألك أن تثبّتني عند الموت، وأن تهوّن عليّ سكراته، وأن تجعلني من الذين تتنزل عليهم الملائكة بالبشرى (أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)، حتى أحب لقاءك، وتحب لقائي، وأن تجعلني من الذين يقولون عندما أُحْمل (قدّموني.. قدّموني) لما سأعلم أني صائر إليه من نعيم القبر، وحياة البرزخ، وأن تثبّتني عند السؤال، وأن تُفسح لي في قبري، وأن تنوّره لي، وأن تلقّني حُجتي، وتثبّتني عند السؤال، وأن تُعيذني من عذاب القبر، وأن تبعثني آمنًا يوم القيامة، مع السبعة الذين تظلهم في ظلك يوم لا ظل إلّا ظلك، وارزقني اللهم شفاعة نبيك، محمد ﷺ، وأن تجعلني من الذين يردون عليه الحوض، واسقني ربّي من يده الشريفة شربةً لا أظمأ بعدها أبدًا حتى أدخل الجنة، وثبّتني على الصراط، وأدخلني الجنّة بغير حساب ولا عذاب، ولا سابقة عتاب، يا أرحم الراحمين.

أمّا بعد:

فهذه وصيتي التي أوصي بها أهلي، وأولادي من بعدي، وأجعلها أمانة في ذمّتهم، وعهدًا عليهم أوصي بها اتّباعًا لأمر النبي ﷺ، الذي يقول (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده) رواه البخاري.

أبدأ وصيتي هذه أولاً بوصية زوجتي الطيّبة الفاضلة، وأولادي الأعزّاء الذين أدعو لهم بالصلاح والتقوى في حياتي ومماتي: ياسر، وعبد الله، وعبد العزيز، وفاطمة، وغالية، وسارة، وأولادهم الأحفاد، كما أُوصي بها كل إخواني وأهلي بتقوى الله، عز وجل، وطاعته، فإنها وصية الله تعالى لأنبيائه والصالحين من عباده، ووصيته لخير خلقه، وخاتم أنبيائه ﷺ، ووصيته لعباده وأحبابه (يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون)، ولا يكون ذلك إلّا بعبادة الله، وطاعته، وطاعة رسوله، واستحلال ما أحل، وتحريم ما حرّم، وبتعظيم، النبي ﷺ، وتوقيره، وإجلاله، وحب الله ورسوله فوق كل محبوب من نفس، وأهل، أو مال، أو ولد، أو عشيرة، فإن للإيمان حلاوة لا يذوقها مؤمن إلّا بهذا

الحب الذي قال فيه النبي ﷺ (ثلاث مَن كُنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما، وأن يحب المرء ما لا يحبه إلّا لله، وأن يكره أن يقذف بالكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار، ثم أُحذّر أهلي وأولادي من الدنيا، فإنها فانية، عمرها قصير، ونعيمها قليل (فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور)، واعلموا أننا عمّا قريب صائرون إلى ما صار إليه مَن قبلنا من الموت، ونزول القبر، ومن سؤال القبر، وما يكون بعده من حسن مقيل في البرزخ للصالحين، ومن النعيم الأبدي في جنات الفردوس يوم القيامة لمَن خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، ومن عذاب الجحيم لمَن طغى وآثر الحياة الدنيا.

كذلك أُوصي أهلي وأولادي من بعدي بوصل ما أمر الله به أن يوصل، من صلة الرحم، وبخاصة فيما بينهم، وبين أولادهم، وأحفادهم، وبين أعمامهم وعماتهم وأولادهم، وبين أخوالهم وخالاتهم وأولادهم، وتفقد أحوالهم، وزيارة مريضهم، ثم سائر أرحامهم، ومن التحابب، والتناصح، والتزاور، والتعاون على الخير والبر والتقوى، وأن يعلّموا ذلك أولادهم، ويكونوا لهم قدوةً

ومثلاً، وأن لا يختلفوا على الدنيا، ولا يتنافسوا عليها، فإنها كما قال النبي ﷺ (لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء)، وأذكّرهم بقول النبي ﷺ (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما عند الناس يحبك الناس).

وأوصيهم كذلك بأن يكونوا مسلمين حقًا، بإخلاص العمل لله وحده، وأن يطهّروا أعمالهم من الرياء، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا الشهر، ويحجوا البيت، وأن يجتهدوا في النوافل، والتقرّب إلى الله، عز وجل، بالأعمال الصالحات، وأن يعظّموا جوار بيت الله الحرام بزيارته، والصلاة فيه، وبالعمرة بعد العمرة، ما استطعتم ذلك، وبزيارة النبي ﷺ، والصلاة في مسجده، وأن يُكثروا من الصلاة والسلام عليهم، اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه كما تحب وترضى، وأن يُكثروا من ذكر الله، ومن الاستغفار، وسائر الأذكار، وأن يعلموا أنهم لم يُخلقوا للهو والعبث، بل لعبادة الله تعالى وطاعته، وأذكّرهم بقول الله، عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وبقوله، عز وجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وأوصي أهلي وأولادي بحب آل بيت النبي ﷺ، واحترامهم، وإجلالهم، وإكرامهم، وقضاء حاجاتهم، وطلب دعائهم، كما أوصيهم بأهل بدر، وزيارتهم، وإكرامهم، والسعي في مصالحهم، وبالإحسان إلى فقرائهم، وبالتعرّف على مواقع الغزوة، ومقبرة الشهداء، ومكان العريش، والأماكن التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، فإنها أماكن مباركة ببركة النبي ﷺ، وبركة أهل بدر.

ثم أوصي أهلي وأولادي أن ينفقوا ثلث مالي، من العقارات والنقود صدقةً، مني على نفسي، ويكون ذلك بإشراف زوجتي، ومعرفتها، وفي ذمّتها وأمانتها، على أن تكون الأولوية للمحتاجين والمستحقين من أرحامي، ثم الأقرب فالأقرب من الأرحام والفقراء والمساكين، وأصحاب الحاجات الذين تصلح لهم الزكاة، وأن لا تعطي غنيًا سواء من الأقارب أم من غيرهم، ثم أن تهتم بمصلحة بناتي، ورعايتهنّ، وإكرامهنّ، وتعطي غير المتزوجة منهنّ ما تحتاج إليه من غير الوصية، فإنه لا وصية لوارث.

وأوصي أهلي وأولادي بفقراء المسلمين، وضعفائهم،

ومرضاهم، وخصوصًا بالأرامل، والأيتام، والعاجزين، وطلاب المعروف، وأذكّرهم بقول النبي ﷺ (هل تُنصرون وترزقون إلّا بضعفائكم) رواه البخاري.

وفيما يلي بيان بالحقوق التي لي، والحقوق التي عليّ، فأوصيكم بها بتمامها وكمالها، من غير نقصٍ، ولا زيادةٍ إلّا في خير، وإيّاكم أن تظلموا أحدًا حقه، فأعطوا كل ذي حق حقه، وخذوا حقوقكم، فإن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، وأوكّل زوجتي أن تكون قيّمةً على إنفاذ وصيتي، اعترافًا بمكانتها وفضلها وحُسن عشرتها، وخدمتها وبرها بوالديّ، وقيامها بخدمتهما ورعايتهما، والإحسان إليهما حتى وفاتهما، وبخاصة والدي، والاهتمام به كلّما مرض، وسهرها على راحته، فجزاها الله عنه وعنّي خيرًا، وعن تربيتها لأولادي وإحسانها إليهم، وأوصي أولادي ببرّها، والإحسان إليها، وإكرامها، وطاعتها، وفيما يلي بيان بالحقوق التي لي والتي عليّ....

وللبيان وبراءة الذمة حررتُ هذه الوصية، والله أسأل أن يبرئ ذمّتي من حقوق خلقه أجمعين، وأسأله سبحانه أن يسدد زوجتي ويوفقها إلى الحق والصواب،

وأن يوفق أولادي ويحفظهم من كل سوء، وأوصيهم جميعًا أن لا ينسوني من بركة دعواتهم، ومن صدقاتهم، وصالح أعمالهم، وأستودع الله دينكم، وأماناتكم، وخواتيم أعمالكم.

وأسأله سبحانه أن يجمعني بكم في مستقر رحمته، وفي دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

حُررت في يوم الاثنين: 22 ربيع الأول 1423هـ الموافق 3 حزيران 2002هـ.

سيرة ذاتية

الاسم: الدكتور محمد عبده يماني.

تاريخ الميلاد: 1940 في مكة المكرمة.

الحياة العلمية:

ـ درس المراحل الأولى في الحرم المكي الشريف ثم بمدارس الفلاح بمكة المكرمة.

ـ بكالوريوس في العلوم ـ جامعة الرياض.

ـ ماجستير ودكتوراه ـ جامعة كورنيل ـ نيويورك ـ أمريكا.

ـ دبلوم إدارة الجامعات ـ جامعة وستنكس.

ـ درس علوم الصور الجوية وتحديد الثروات المعدنية.

ـ درس التخطيط الإقليمي لاستغلال الثروة المعدنية في إطار علم الجيولوجيا الاقتصادية.

الحياة العلمية:

ـ محاضر بكلية العلوم جامعة الرياض.

ـ مدرس في الثانوية العسكرية ثم الكلية الحربية وكلية الأركان.

ـ وكيل لوزارة المعارف للشؤون الفنية.

ـ مدير جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة.

ـ وزير للاعلام للفترة من 8/ 10/ 1395هـ حتى 11/ 7/ 1403هـ.

رئيس لمجلس إدارة الشركات والمؤسسات نذكر منها:

ـ الشركة العربية للاستثمار الزراعي.

ـ جمعية اقرأ الخيرية.

ـ شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية.

ـ شركة دلة للتعدين.

ـ جمعية أصدقاء القلب.

ـ شركة اقرأ للتنمية.

ـ مجلس الأدباء ـ تونس.

ـ عضو جمعية القرآن الكريم.

ـ جمعية الإيمان الخيرية.

ـ شركة لانسا.

كما شارك في عضوية اللجان الدائمة منها:

ـ جمعية جائزة الملك فيصل الخيرية.

ـ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

المؤلفات والأبحاث:

ـ نظرات علمية في غزو الفضاء.

ـ أقمار الفضاء غزو جديد.

ـ الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال.

ـ وداعاً هالي.

ـ أصل حديد وادي فاطمة

ـ اقتصاديات حديد وادي فاطمة.

ـ التراكيب الجيولوجية الصغيرة في الرواسب الالقوجية في منطقة الشميسي.

ـ اقتصاديات المعادن بالمملكة العربية السعودية.

ـ الجيولوجيا الاقتصادية والثروة المعدنية في المملكة.

ـ المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية.

ـ البابية.

ـ حوار مع البهائيين.

ـ علموا أولادكم محبة رسول الله.

ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

ـ قادم من بكين والإسلام بخير.

ـ اليد السفلى ـ جراح البحر ـ وفتاة من حائل ـ وامرأة في الظلال ـ ومشرد بلا خطيئة (مجموعة قصصية).

ـ للعقلاء فقط (الجزء الأول).

ـ للعقلاء فقط (الجزء الثاني).

ـ إفريقيا لماذا.

ـ علموا أولادكم حب آل البيت.

ـ هكذا صام رسول الله ﷺ.

ـ هكذا حج رسول الله ﷺ.

ـ قضايا تعليمية.

ـ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

ـ العائدون إلى الإسلام في أمريكا.

الأوسمة وشهادات التقدير:

ـ وسام الدرع التقديري للطالب المثالي للنشاط الثقافي جامعة الرياض.

ـ الدرع التقديري ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة.

ـ وشاح الملك عبد العزيز.

ـ الميدالية التقديرية من حكومة أبو ظبي.

ـ الميدالية التقديرية من حكومة قطر.

ـ وسام برتبة قائد (كوماندوز) جمهورية موريتانيا.

ـ وسام مهابوترا اوبيراونا مع براءته من رئيس جمهورية اندونيسيا.

ـ براءة وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى من جلالة الملك حسين.

ـ براءة وسام الاستحقاق الوطني درجة ضابط أكبر. من رئيس جمهورية فرنسا.

ـ وسام ليزابيل ملك إسبانيا

المحتويات

«حينما تُرزأ بفقدان عزيز، فإن استجابة وجدانك ومشاعرك تأخذ منحيين، الشعور بالأسى، ثم استعادة شريط الذكريات بالعودة إلى أعماق الذاكرة وفتح أرشيف الصور والمشاهد المختزنة... هذا ما عشته حين بلغني نبأ رحيل محمد عبده يماني»

لست بصدد الكتابة عن شخصيته، فإن سيرته وإنجازاته ملأت السمع والبصر... دوّت سيرته على مدى سبعين عاماً، لكنني أحببت التقاط بعض الصور التي التقطتها الذاكرة وأنا في غمرة الحزن والأسى على فقدان هذا العزيز... «شهيد القرآن».

كمال عبد القادر


ISBN 978-9953-566-38-2

